فصـــل

منزلة الرّضىٰ

ومن منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» منزلة : «الرِّضىٰ»[١].

وقد أجمع العلماء علىٰ أنه مُستحب ، مؤكد استحبابه ، واختلفوا في وجوبه[٢] علىٰ قولين.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يحكيهما[٣] قولين لأصحاب أحمد ، وكان يذهب إلىٰ القول باستحبابه[٤].

قال : ولم يجيء الأمر به ، كما جاء الأمر بالصبر ، وإنما جاء الثناء علىٰ أصحابه ومدحهم.

---

(١) الرضىٰ : هو عند أهل الطريق اسم للوقوف الصادق ، وهو الوقوف مع مراد الله وقوفاً بالحقيقة من غير تردد.. فلا يكره شيئاً أصلاً إلا ما كان مخالفاً للشرع ، فهو ينكره ويكرهه امتثالاً للشرع.. وهو عندهم درجات ، منها أن لا يجد العبد حرجاً مما قدر الحق وقضاه ، وهو يعني الرضا في الدنيا تحت مجاري الأحكام ، وهو عند بعضهم ليس أن لا تحس ولكنه أن لا تعترض علىٰ الحكم والقضاء، وأكتفي بهذا لأن ابن القيم نقل جملة من تعريفاتهم للرضىٰ ، وانظر ذلك في : التعرف ١٢٠- ١٢١ ، عوارف المعارف ٥٠١ ، قوت القلوب ٢/ ٣٨ ، لطائف الإعلام ١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١ ، الرسالة القشيرية ٢٩٧ ، معجم مصطلحات الصوفية ١١٢ ، وانظر الفتاوىٰ ١٠/ ٤٣ ـ ٤٧ ـ ٤٨٢.

(٢) (في وجوبه) سقط من أ ، ب ، غ.

(٣) ط (يحكيهما علىٰ).

(٤) الفتاوىٰ ١٠/ ٤٠ ـ ٤١ ، التحفة العراقية تحقيق د/ يحيىٰ الهنيدي ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

قال: وأما ما يروىٰ من الأثر[١] «من لم يصبر علىٰ بلائي، ولم يرضَ بقضائي، فليتخذ رباً سواي» فهذا أثر إسرائيلي، ليس يصح عن النبي ﷺ[٢].

قلت: ولا سيما عند من يرىٰ أنه من جملة الأحوال التي[٣] ليست بمكتسبة، وأنه[٤] موهبة محضة، فكيف يؤمر به، وليس مقدوراً ؟[٥].

وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك علىٰ ثلاث طرق.

فالخُراسانيون[٦] قالوا: إن[٧] الرضىٰ من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل،

---

(١) م (الإسرائيلي).

(٢) الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٢٠) وضعف إسناده العراقي كما في تعليقه علىٰ إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٧) فيه سعيد بن زياد بن هند متروك، وقال ابن حجر: فائد وولده ضعيفان، الإصابة (٤/ ٢١٢)، وأورده ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٢٧)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٣٣)، وفي قوت القلوب (٢/ ٤٧)، وفي تنبيه الغافلين نسبه لابن عباس (٢٦٣)، وانظر تعليق شيخ الإسلام علىٰ مثل هذه الحكايات الإسرائيلية في الاستقامة (٢/ ٨٢)، وذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة (٣/ ٢٠٤)، من غير تعليق.

(٣) (التي) سقط من د.

(٤) ط (بل هو) بدل (وأنه).

(٥) ط زيادة (عليه).

(٦) الخراسانيون والشاميون والبغداديون والعراقيون أسماء لبعض المتصوفة لها صلة بالبلد والسلوك الذي يميز بعضهم عن بعض، انظر في هذه المسألة عوارف المعارف ٦٦، دراسات في الفكر العربي الإسلامي للإستاذ عرفان فتاح ٣٢٥، وانظر المدارج ١/ ١٣٥، الرسالة القشيرية ٢٩٧.

(٧) (إن) سقطت من م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق.

اختلاف الخراسانيين والعراقيين في مسألة الرضا

فعلىٰ هذا[1] يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والعراقيون قالوا : هو من جملة الأحوال وليس ، كسبياً[2] للعبد ؛ بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرق بين المقامات والأحوال[3] : أن المقامات عندهم من المكاسب ،

---

(١) (فعلىٰ هذا) سقطت من ش.

(٢) د (كسباً).

(٣) المقامات والأحوال : الحال مقدمة المقام فإن المبتدئ بالذكر يصل إلىٰ طمأنينة مؤقتة لا تلبث آن تزول فهذه حال ، فإذا وصل إلىٰ طمأنينة دائمة للقلب فهذا مقام ، فالحال ما يرد فجأة وهو أوائل المقام الذي هو الاستقرار والدوام ، والمقامات تختلف عند أهل الطرق من حيث الأنواع والأعداد، فالمقامات تتراوح عندهم من السبعة إلىٰ التسعة ومنها التوبة، الورع، الزهد ، الفقر ، الصبر ، التوكل ، الرضىٰ.. ، والأحوال مثل القبض والبسط ، والهيبة والأنس ، والصمود والسكر ، والجمع والفرق ، والفناء والبقاء ، والمكاشفة والمشاهدة ، وهذه الأسماء متداولة في أمهات كتبهم علىٰ تفاوت في الوضوح والترتيب كما في إحياء علوم الدين والرسالة القشيرية والتعرف وغيرها.

المقام : من الاصطلاحات التي تعددت تعريفاته عندهم مع عدم وضوح مرادهم به ، لكن تعريف الحال عندهم يفهم منه المراد بالمقام والحال كما سبق تعريفه ص١٨٢٨ إنما هو لتحوله وزواله ، والمقام لإقامته واستقراره فإذا كان الأمر غير مستقر فهو الحال فإذا استقر أصبح مقاماً ، ولا يرتقي من مقام حتىٰ يستوفي أحكام ذلك المقام سواء من العبادات أو المجاهدات أو الرياضات ، انظر لطائف الإعلام ٢/ ٣٢٥ ـ ٣٣٢ ، ١/ ٤٠٣ ، معجم مصطلحات الصوفية ٢٤٨ ، عوارف المعارف ٥/ ٢٢٧ كشف المحجوب ٢/ ٤٠٩ ، الحركة الصوفية في الإسلام ١١٦ ، الكشف عن حقيقة الصوفية ٣٧٩ ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ١٥٠.

والأحوال مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة بين الطائفتين، منهم[١] - صاحب الرسالة[٢] - وغيره فقالوا: يمكن الجمع بينهما، بأن يقال: بداية «الرضىٰ» مكتسبة للعبد، وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست[٣] مكتسبة: فأوله مقام، ونهايته حال.

واحتج من جعله من جملة المقامات: بأن الله مدح أهله، وأثنىٰ عليهم، وندبهم إليه، فدل[٤]، [٥]علىٰ أنه مقدور لهم.

وقال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً**»[٦].

وقال: «**من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، غُفرت له ذنوبه**»[٧].

---

(١) ط (القشيري) وفي هامش غ، ب، أ (هو أبو القاسم القشيري).

(٢) هو أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، وانظر تقسيمه في الرسالة القشيرية ص١٢٤ - ١٢٥.

(٣) (وليست) سقطت من ح٢.

(٤) أ، غ، ب (يدل).

(٥) ط (ذلك).

(٦) مسلم. الإيمان (١/ ٦٢) ح(٣٤)، أحمد (١/ ٢٠٨)، الترمذي. الإيمان (٥/ ١٤) ح(٢٦٢٣) وقال حديث حسن صحيح.

(٧) مسلم. الصلاة (١/ ٢٩٠) ح(٣٨٦)، أحمد (١/ ١٨١)، الترمذي. الصلاة (١/ ٤١١) ح(٢١٠)، أبو داود. الصلاة (١/ ٣٦٠) ح(٥٢٥).

ما يتضمنه الرضى بالوهيته وربوبيته سبحانه

وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين ، وإليهما[١] ينتهي ، وقد تضمنا[٢] الرضىٰ بربوبيته سبحانه وألوهيته ، والرضىٰ برسوله ، والانقياد له ، والرضىٰ بدينه، والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة : فهو الصدّيق حقاً ، وهي سهلة بالدعوىٰ واللسان ، وهي[٣] من[٤] أصعب الأمور عند الحقيقة[٥] والامتحان ، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوىٰ النفس ومرادها من ذلك ، تبين أن الرضىٰ كان[٦] علىٰ لسانه لا علىٰ حاله.

فالرضىٰ بإلهيته يتضمن الرضىٰ بمحبته وحده ، وخوفه ، ورجائه ، والإنابة إليه ، والتبتل إليه ، وانجذاب قوىٰ الإرادة والحب كلها إليه ، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضىٰ وكل[٧] ذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضىٰ بربوبيته : يتضمن الرضىٰ بتدبيره لعبده ، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به ، والثقة به ، والاعتماد عليه[٨] ، وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به.

---

(١) د ، ح٢ ، ق (وإليها).

(٢) ق (تضمنها).

(٣) (وهي) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ومن).

(٥) ط (حقيقة).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (لسانه به ناطقاً فهو)

(٧) (كل) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٨) الأصل سقطت (عليه) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

فالأول : يتضمن رضاه بما يؤمر به ، والثاني : يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضىٰ بنبيه رسولاً : فيتضمن كمال[١] الانقياد له ، والتسليم[٢] المطلق إليه ، بحيث[٣] يكون أولىٰ به من نفسه ، فلا يتلقىٰ الهدىٰ إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضىٰ بحكم غيره البتة ، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في[٤] شيء من أحكام ظاهره وباطنه ، [لا يرضىٰ في ذلك بحكم غيره][٥] ، ولا يرضىٰ إلا بحكمه ، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد[٦] ما يقيته إلا من الميتة والدم ، وأحسن أحواله : أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور. وأما الرضىٰ بدينه : فإذا قال ، أو حكمَ ، أو أمرَ ، أو نهىٰ : رضي كل الرضىٰ ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه ، وسلَّم له[٧] تسليماً ، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها ، أو قول مُقلِّده وشيخه وطائفته.

---

(١) (كمال) سقط من أ ، ب ، غ ، ح٢ ، م.

(٢) (التسليم) سقط من ش.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (أن).

(٤) (في) سقطت من ش.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ.

(٦) (يجد) سقط من غ.

(٧) (له) سقطت من أ.

وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم ، فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد ، فإنه والله عين العزة ، والصحبة مع الله ورسوله ، وروح الأنس به ، والرضىٰ به رباً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وبالإسلام ديناً.

بل الصادق كلما وجد مس الاغتراب ، وذاق حلاوته ، وتنسَّم[1][2] روحه، قال: اللهم زدني اغتراباً ، ووحشة من العالم ، وأنساً بك ، وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب ، وهذا التفرد : رأىٰ الوحشةَ عينَ الأنس بالناس ، والذلَّ عينَ العزِّ بهم ، والجهل عين الوقوف مع آرائهم ، وزِبالة[3] أذهانهم ، والانقطاع عين التقيد برسومهم وأوضاعهم ، فلم يؤْثرِ بنصيبه من الله أحداً من الخلق ، ولم يبعْ حظَّه[4] من الله بموافقتهم فيما لا يُجدي عليه إلا الحرمان ، وغايته : مودّة بينهم في الحياة الدنيا ، فإذا انقطعت الأسباب ، وحقَّت الحقائق ، وبُعثر ما في القبور ، وحُصِّل ما في الصدور ، وبُليت السرائر ، ولم يجد من دون مولاه[5] الحق من[6] قوة ولا

---

(١) (تنسّم) سقط من أ ، غ ، ب.

(٢) تنسّم : يقال تنسم فلان العلم أو الخبر تلطف في التماسه شيئاً فشيئاً / المعجم الوسيط ٢/ ٩١٩.

(٣) زبالة : الزبل (السَّرجين) ، وموضعه (مَزْبلة) ، مختار الصحاح ٢٦٨ ، المعجم الوسيط ١/ ٣٨٨.

(٤) (حظه) سقط من د.

(٥) أ ، غ ، ب (موالاة).

(٦) (من) سقطت من ش.

ناصر : تبين له حينئذ مواقع الربح من[1] الخسران ، وما الذي يَخِفُّ به الميزان ، والله المستعان ، وعليه التكلان.

التحقيق في مسألة الرضى هل هو كسبي أم موهبي

والتحقيق في المسألة : أن «الرضىٰ» كَسبي باعتبار سببه ، موهبيٌّ باعتبار حقيقته ، فيمكن أن يقال[2] بالكسب لأسبابه ، فإذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته : اجتنىٰ منها ثمرة الرضىٰ ، فإن الرضىٰ آخر التوكل ، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض : حصل له الرضىٰ ولا بدّ ، ولكن لعزّته وعدم إجابة أكثر النفوس له ، وصعوبته عليها لم يوجبه الله علىٰ خلقه ، رحمة بهم وتخفيفاً عنهم ، لكن نَدَبهم إليه وأثنىٰ علىٰ أهله ، وأخبر أن ثوابه[3] رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنات[4] وما فيها ، فمن رضي عن ربه رضي الله عنه ؛ بل رضىٰ العبد عن الله من نتائج رضىٰ الله عنه ، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده : رضىٰ قبله ، أوجب له أن يرضىٰ عنه ، ورضىٰ بعده، هو ثمرة رضاه عنه ، ولذلك كان الرضىٰ باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وحياة المحبين ، ونعيم العابدين ، وقرة عيون المشتاقين.

ومن أعظم أسباب حصول الرضىٰ : أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه ، فإنه يوصله إلىٰ مقام الرضىٰ ولا بدَّ.

---

(١) (من) ساقطة من الجميع وما أثبته من ش وبه يتم المعنىٰ.

(٢) ش (ينال).

(٣) غ (ثواب).

(٤) ط ، ش ، ب (الجنان).

قيل ليحيىٰ بن معاذ : متىٰ يبلغ العبد إلىٰ مقام الرضىٰ؟ فقال : إذا أقام نفسه علىٰ أربعة أصول فيما يعامل به ربه ، فيقول : إن أعطيتني قَبِلت ، وإن منعتني رضيت ، وإن تركتني عَبدت ، وإن دعوتني أجبت[1].

وقال الجنيد[2][3] : « الرضىٰ هو صحة العلم الواصل إلىٰ القلب ، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلىٰ الرضىٰ »[4].

وليس الرضىٰ والمحبة كالرجاء والخوف ، فإن الرضىٰ والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة ، لا يفارقان [المتلبس بهما][5] في الدنيا ، ولا في البرزخ ، ولا في الآخرة ، بخلاف الخوف والرجاء ، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول[6] ما كانوا يرجونه ، وأمنهم مما كانوا يخافونه ، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائماً، لكنه ليس[7] رجاء مشوباً بشكٍ؛

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٦٦.

(٢) الجنيد بن محمد الجنيد ، أبو القاسم الخزاز القواريري ، أصله من نهاوند ونشأته في بغداد ، صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي ، توفي سنة ٢٩٨هـ . حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٧٠) ، طبقات الشعراني (١/ ٨٤).

(٣) (رضي الله عنه) سقط من ط.

(٤) قال في حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤ ، والمعرفة صحة العلم بالله واليقين والنظر بعين القلب إلىٰ ما وعد الله ، وفي مفتاح دار السعادة زيادة تفصيل لهذه المسألة وبيان أثرها علىٰ القلب ١/ ١٤٠.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، ش والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٦) ش (لحصول).

(٧) هنا الموضع الثاني من الخلط في ق حيث قال هنا [هذا الذي ذكره الشيخ ص١٩٠٠] قفز نحواً من فصلين.

بل[١] رجاء واثق بوعد صادق ، من حبيب قادر ، فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون.

وقال ابن عطاء - رحمه الله - : « الرضىٰ سُكُون القلب إلىٰ قدم[٢] اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل ، فيرضىٰ به »[٣].

قلت : وهذا رضىٰ بما منه ، وأما الرضىٰ به ، فأعلىٰ من هذا وأفضل ، ففرق بين من هو راض بمحبوبه ، وبين من هو راضٍ فيما[٤] يناله من محبوبه من حظوظ نفسه[٥].

فصل

أمور لا تنافي الرضى

وليس من[٦] شرط « الرضىٰ » ألا يحُس بالألم والمكاره ؛ بل[٧] ألاّ يعترض[٨] علىٰ الحكم ولا يتسخَّطه ، ولهذا أشكل علىٰ بعض الناس الرضىٰ بالمكروه ،

---

(١) ط زيادة (هو).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (قديم).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٠ ، وأورده بدون عزو في قوت القلوب ٢/ ٤٦ ، وعزاه لبعض الحكماء في جامع العلوم والحكم ١/ ٤٤٢ ، وفي شعب الإيمان ٢/ ٩٧ ، قال الجنيد التوكل سكون القلب إلىٰ موعود الله ، وانظر فائدة ذلك في الفوائد ١/ ٩٩.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (بما).

(٥) ق ، غ ، ط (والله أعلم).

(٦) (من) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق.

(٧) أ ، ب ، غ ، ش ، ق (بل أن لا).

(٨) ق (تعترض).

وطعنوا فيه ، وقالوا هذا ممتنع علىٰ الطبيعة ، وإنما هو الصبر ، وإلا فكيف يجتمع الرضىٰ والكراهية؟ وهما ضدان.

والصواب : أنه لا تناقض بينهما ، وأن وجود التألم[١] وكراهة النفس له لا ينافي الرضىٰ ، كرضىٰ المريض بشرب الدواء الكريه ، ورضىٰ الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ ، ورضىٰ المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح ، وغيرها.

وطريق الرضىٰ طريق مختصرة ، قريبة جداً ، موصلة إلىٰ أجلّ غاية ، ولكن فيها مشقة ، ومع هذا فليست مشقتها بأصعب[٢] من مشقة طريق الجهاد ، ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها ، وإنما عقبتها همة عالية ، ونفس زكية ، وتوطين النفس علىٰ كل ما يرد عليها من الله.

ويسهل ذلك علىٰ العبد : علمه بضعفه وعجزه ورحمة ربه[٣]، وشفقته عليه ، وبره به ، فإذا شهد هذا وهذا ، ولم يطرح نفسه بين يديه ، ويرضىٰ به وعنه ، وتنجذب دواعي حبه ورضاه كلها إليه : فنفسه نفس مطرودة عن الله ، بعيدة عنه ، ليست مؤهلة لقربه وموالاته ، أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا والمحن.

فطريق الرضىٰ والمحبة : تُسيِّر العبد وهو مستلق علىٰ فراشه ، فيصبح أمام

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (البلاء).

(٢) ح٢ (أعظم).

(٣) د ، ط (رحمته به).

الركب بمراحل.

من ثمار الرضى

وثمرة الرضىٰ الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالىٰ.

ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في المنام، وكأني ذكرتُ له شيئاً من أعمال القلب، وأخذت في تعظيمه ومنفعته - لا أذكره الآن - فقال: أما أنا فطريقتي[1]: الفرح بالله، والسرور به،[2] نحو هذا من العبارة.

وهكذا كانت حاله في الحياة، يبدو ذلك[3] علىٰ ظاهره، وينادي به عليه حاله. لكن قد[4] قال الواسطي[5]: استعمل الرضىٰ جهدك، ولا تدع الرضىٰ يستعملك، فتكون[6] محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع[7].

وهذا الذي أشار إليه الواسطي هو[8] عقبة عظيمة عند القوم، ومقطع لهم، فإن مساكنة الأحوال، والسكون إليها، والوقوف عندها؛ استلذاذاً ومحبة: حجاب بينهم وبين ربهم بحظوظهم عن مطالعة حقوق محبوبهم ومعبودهم،

---

(١) أ، غ، ب، ح٢ (طريقي).

(٢) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ش زيادة (أو).

(٣) (ذلك) سقط من ش.

(٤) (قد) سقطت من ح٢، م.

(٥) ق (رحمه الله) وهو محمد بن موسىٰ، أبو بكر الواسطي أحد أصحاب الجنيد والثوري، صوفي مشهور، توفي سنة ٣٢٠هـ/ حلية الأولياء.

(٦) الأصل (فيكون) والأقرب ما أثبته من بقية النسخ.

(٧) الرسالة القشيرية (٢٩٩).

(٨) (هو) سقطت من ح٢.

وهي عقبة لا يجوزها إلا أولو العزائم.

وكان الواسطي كثير التحذير من هذه العقبة ، شديد التنبيه عليها.

ومن كلامه : إياكم واستحلاء الطاعات ، فإنها سموم قاتلة[١].

فهذا معنىٰ قوله : «استعمل الرضىٰ[٢] ولا تدع الرضىٰ يستعملُك» أي لا يكون عملك لأجل حصول حلاوة الرضىٰ ، بحيث تكون هي الباعثة لك عليه[٣] ؛ بل اجعله آلة لك وسبباً موصلاً إلىٰ مقصودك[٤] ومطلوبك ، فتكون مستعملاً له ، لا أنه مستعمل لك.

وهذا لا يختص بالرضىٰ ؛ بل هو عام في جميع الأحوال والمقامات القلبية، التي يسكن إليها القلب ، حتىٰ إنه أيضاً لا يكون عاملاً علىٰ المحبة لأجل المحبة ، وما فيها من اللذة والسرور والنعيم[٥] ؛ بل يستعمل المحبة في مراضي[٦] المحبوب ، لا يقف عندها ، فهذا من علل المحبة.

وقال ذو النون : ثلاثة من أعلام الرضىٰ : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان

---

(١) الرسالة القشيرية (٢٩٩).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط (جهدك).

(٣) (عليه) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (مقصدك).

(٥) ط زيادة (به).

(٦) ط (مراضاة).

المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو البلاء[١].

وقيل للحسين بن علي - رضي الله عنهما - : إن أبا ذر[٢] يقول : الفقر أحب إليَّ من الغنىٰ والسقم أحب إليَّ من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا ، فأقول : من اتكل علىٰ حسن اختيار الله له لم يتمنَّ غير ما اختار الله له[٣] .

وقال الفُضَيل بن عياض[٤] لِبِشْر الحافي : الرضىٰ أفضل من الزهد في الدنيا، لأن الراضي لا يتمنىٰ فوق منزلته[٥].

وسئل أبو عثمان عن قول النبي ﷺ «**أسألك الرضىٰ بعد القضاء**»[٦] ، فقال : لأن الرضىٰ قبل القضاء عَزم علىٰ الرضىٰ ، والرضىٰ بعد القضاء هو الرضىٰ[٧].

---

(١) الرسالة القشيرية بسنده ٣٠٠ ، حلية الأولياء ٩/ ٣٤٢ ، قوت القلوب ولم يعزه لأحد ٢/ ٤٦.

(٢) ط (رضي الله عنه).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٠.

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي أحد كبار المشايخ المشهورين وأحد العلماء الأعلام ، ولد بسمرقند وطلب العلم ورُحِل إليه ، توفي سنة ١٨٧هـ/ حلية الأولياء (٨/ ٨٤) ، شذرات الذهب (١/ ٣١٦).

(٥) الرسالة القشيرية ٣٠٠ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٦ ، شعب الإيمان ٢٧٧ ، موسوعة ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠.

(٦) أحمد (٤/ ٢٦٤) ، الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٤) وقال صحيح ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، صحيح النسائي للألباني (١/ ٤١٦) ح(٢٩٩) ، صحيح ابن ماجه للألباني (٢/ ٣٢٩) ح(٣٨٥٨). وأوله «اللهم بعلمك الغيب...» وذكره المصنف بتمامه ص٣٥٧.

(٧) الرسالة القشيرية ٣٠٠ وهو أبو عثمان الحيري ، وعلق علىٰ كلامه شيخ الإسلام في الاستقامة ٢/ ٨٦ ، وذكره في التحفة العراقية ٣٥٠.

وقيل : الرضىٰ ارتفاع الجزع في أي حكم كان[١].

وقيل : رفع الاختيار[٢].

وقيل : استقبال الأحكام بالفرح[٣].

وقيل : سكون القلب تحت مجاري الأحكام[٤].

وقيل: نظر القلب إلىٰ قديم اختيار الله تعالىٰ[٥] للعبد ، وهو ترك السخط[٦][٧] .

وكتب عمر ابن الخطاب إلىٰ أبي موسىٰ[٨] رضي الله عنه[٩] « أما بعد ، فإنَّ الخير كله في الرضىٰ ، فإن استطعت أنْ ترضىٰ وإلا فاصبر»[١٠].

وقال أبو علي الدقاق : الإنسان خزف[١١] ، وليس للخزف من الخطر ما

---

(١) عزاه في الرسالة القشيرية لأبي عمر الدمشقي ٣٠٠.

(٥) القائل هو الجنيد ، الرسالة القشيرية ٣٠٠.

(٣) القائل هو رويم في الرسالة القشيرية ٣٠٠.

(٤) عزاه في الرسالة القشيرية للمحاسبي ٢٩٩ ونحوه عن أبي خفيف.

(٥) (تعالىٰ) سقط من ط.

(٦) ب (التسخط).

(٧) القائل ابن عطاء ، الرسالة القشيرية ٣٠٠.

(٨) د ، ش (الأشعري).

(٩) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (عنهما).

(١٠) الرسالة القشيرية ٣٠١ ، ونحوه عن عمر بن عبد العزيز في عدة الصابرين ٩٨.

(١١) خزف: الخزف (الجرُّ) مختار الصحاح ١٧٤، ما عمل من الطين وشُوي بالنار فصار فخاراً، المعجم الوسيط ١/ ٢٣٢.

يعارض فيه حكم الحق تعالىٰ[١].

وقال أبو عثمان الحيري[٢] : مُنذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ، وما نقلني إلىٰ غيره فسخطته[٣].

والرضىٰ ثلاثة أقسام : رضىٰ العوام بما قسمه[٤] الله وأعطاه ، ورضىٰ الخواص بما قدره الله[٥] وقضاه ، ورضىٰ خواص الخواص به بدلاً من كل ما سواه.

فصل

قال صاحب «المنازل» ـ رحمه الله ـ[٦] :

« قال الله عزَّ وجل[٧] : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً[٨]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٠١.

(٢) أبوعثمان ، سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري ، أصله من الري ، صحب شاه الكرماني ، وهو في وقته أول المشايخ في سيرته ومنه انتشر التصوف بنيسابور/ طبقات الصوفية للسلمي (١٧٠) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٤) ، صفة الصفوة (٤/ ٨٥) ، الرسالة القشيرية (٧٣).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠١ ، صفة الصفوة ٤/ ١٠٦ ، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (قُسم).

(٥) (لفظ الجلالة) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٦) (رحمه الله) سقط من جميع النسخ.

(٧) ط ، ق (تعالىٰ).

(٨) في م ، ح٢ (إلىٰ آخر الآية).

مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر :٢٧ - ٢٩] لم يَدَعْ في هَـذِهِ الآيَـةِ لِلمُتَسَخِّطِ إِلَيـهِ(١) سَـبِيلاً ، وَشَرْطُ القَاصِـدِ(٢) الـدُّخُولُ فِي الـرِّضَىٰ ، وَ«الرِّضَىٰ»(٣) اسْمٌ لِلْوقُوفِ الصَّادِقِ ، حَيْثُمَا وَقَفَ العَبْدَ ، لاَ يَلتمِسُ مُتَقدّماً وَلاَ مُتَأَخّراً ، وَلاَ يَستَزِيدُ مَزِيداً ، وَلاَ يَسْتَبدِلُ حَالاً ، وَهُوَ مِنْ أَوَائِلِ مَسَالِكِ أَهْلِ الخُصُوصِ ، وَأَشَقُّهَا عَلىٰ العَامَّةِ»(٤).

أما قوله : «لَمْ يَدَعْ فِي هَذِهِ الآيَةِ لِلمُتَسَخِّطِ إِلَيهِ(٥) سَبِيلاً» فلأنه قيَّد رجوعها إليه سبحانه بحال ، وهو وصْف الرضىٰ ، فلا سبيل إلىٰ الرجوع إليه مع سلب ذلك الوصف عنها ، وهذا نظير قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ(٦) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل :٣٢] فإنما(٧) أوجب لهم هذا السلام من الملائكة والبشارة بقيد ، وهو وفاتهم طيبين، فلم تبق الآية لغير الطيب سبيلاً لهذه(٨) البشارة.

والحاصل أن الدخول في الرضىٰ شرط في رجوع النفس إلىٰ ربِّها ، فلا

---

(١) (إليه) سقط من د.

(٢) منازل السائرين (للقاصد).

(٣) في غ (هو).

(٤) منازل السائرين ٣٩ ـ ٤٠.

(٥) (إليه) سقط من د.

(٦) م ، ح٢ (الآية) ولم يكمل بقية الآية المذكورة هنا.

(٧) أ ، غ ، ب (وإنما).

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (إلىٰ هذه).

ترجع إليه إلا إذا كانت راضية [١].

قلت : هذا تعلق بإشارة الآية ، لا بالمراد منها ، فإن المراد منها : رضاها بما حصل لها من كرامته ، ونالته[٢] عند الرجوع إليه ، فحصل لها رضاها ، والرضىٰ عنها ، وهذا يقال لها عند خروجها من دار الدنيا ، وقدومها علىٰ الله.

قال عبدالله بن عمرو[٣] - رَضي الله عنهما - : «إذا تُوفي العبد المؤمن أرسل الله إليه ملكين ، وأرسل بتحفة من الجنة ، فيقال : اخرجي أيتها النفس المطمئنة ، اخرجي إلىٰ روحٍ وريحان ، وربٍّ عنك راضٍ[٤]»[٥].

وفي وقت هذه المقالة ثلاثة أقوال للسلف.

أقوال الأئمة في قوله تعالى: ﴿ارجعي إلى ربك ..﴾

أحدها : أنه عند الموت ، وهو الأشهر ، قال الحسن - رَضي الله عنه - : إذا أراد الله[٦] قبضها اطمأنت إلىٰ ربها ، ورضيت عن الله ، فيرضىٰ الله[٧] عنها[٨].

---

(١) في هذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية﴾ [الفجر :٢٧-٢٨] وهو المنهج الصوفي في طريقة الاستدلال بإشارة الآية دون المراد منها.

(٢) ط (وبما نالته منها).

(٣) الأصل (ابن عمر) والصحيح ما أثبته ممن خرج الأثر عنه رضي الله عنه ومن نسخة ق.

(٤) ق (غير غضبان).

(٥) تفسير الطبري عن عمرو بن العاص ٢٠/ ٥٨ ، مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٨ ، وعزاه للطبراني في الكبير وقال رجاله ثقات ، البغوي في التفسير ٤/ ٤٨٦.

(٦) (لفظ الجلالة) سقط من ط ، وكذلك (الترضي).

(٧) (لفظ الجلالة) سقط من د.

(٨) تفسير الطبري ١٠/ ١٢٢ ، البغوي في التفسير ٤/ ٤٨٦ ، الدر المنثور ٨/ ٥١٤ ، وقال أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن.

وقال آخرون : إنما يُقال لها ذلك عند البعث ، هذا قول عكرمة وعطاء والضحاك وجماعة[١].

وقال آخرون : الكلمة الأولىٰ – وهي : ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ – يقال[٢] لها عند الموت ، والكلمة الثانية – وهي : ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ – إنما يقال[٣] لها يوم القيامة ، قال أبو صالح : ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ هذا عند خروجها من الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لها[٤] : ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[٥].

والصواب : أن هذا القول يقال لها عند الخروج من الدنيا ، ويوم القيامة ، فإن أول بعثها عند مفارقتها الدنيا ، وحينئذ فهي في الرفيق الأعلىٰ ، إن كانت مطمئنة إلىٰ الله ، وفي جنته ، كما دل[٦] عليه الأحاديث الصحيحة[٧] ، فإذا كان

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس والضحاك ١٠/ ١٢٢ ، وقال : وهو أولىٰ القولين بالصواب وذكره عنهم البغوي في التفسير ٤/ ٤٨٧.

(٢) بقية النسخ (تقال).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (يقال) و ط (تقال) ، كلاهما بدون (إنما).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (لها).

(٥) تفسير الطبري ١٠/ ١٢٢ ، الدر المنثور ٨/ ٥١٥.

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (دلت).

(٧) فيه إشارة إلىٰ حديث البراء – رضي الله عنه – : «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار..» وهو في المسند (٤/ ٢٨٧) ، وأبي داود. الجنائز (٣/ ٥٤٦) ح(٣٢١٢) ، الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧ ، ٣٨ ، ١٢٠) وقال صحيح ولم يخرجاه ، صحيح النسائي للألباني.

يوم القيامة قيل لها ذلك ، وحينئذ فيكون تمام الرجوع إلىٰ الله ودخول الجنة.

فأول ذلك عند الموت ، وتمامه ونهايته : يوم القيامة ، فلا اختلاف في الحقيقة.

ولكن الشيخ أخذ من إشارة الآية : أن رجوعها إلىٰ الله من الخلق في هذا العالم إنما يحصل برضاها ، ولكن لو استدل بالآية في مقام الطمأنينة لكان أولىٰ ، فإن هذا[1] الرجوع الذي حصل لها[2] فيه رضاها ، والرضىٰ عنها : إنما نالته بالطمأنينة[3] ، وهو حظ الكسب من هذه الآية ، وموضع التنبيه علىٰ موقع الطمأنينة ، وما يحصل لصاحبها ، فلنرجع إلىٰ شرح كلامه.

قوله : « **الرِّضَىٰ هُوَ الوُقُوفُ الصَّادِقُ** » : يريد به الوقوف مع مراد الرب تبارك[4] وتعالىٰ الديني حقيقة ، من غير تردُّد في ذلك ولا معارضة ، وهذا مطلوب القوم السابقين ، وهو الوقوف الصادق مع مراد الحق[5] ، من غير أن

الجنائز (٢/ ٥٨) ح(٢٠٠٠) ، صحيح ابن ماجه. الجنائز (١/ ٢٥٨) ح(١٥٤٨) ، والحديث من رواية زاذان عن البراء وقد أعله البعض بعدم سماع زاذان من البراء ، إلا أن سماعه منه صحيح ، انظر صحيح ابن حبان (٧/ ٣٨٧) وغيره.

(١) (هذا) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٢) الأصل (له) والأقرب ما أثبته من أ ، غ ، ب ، ط.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (لكان أولىٰ).

(٤) (تبارك) سقط من ق.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (محاب الرب تعالىٰ) ، بدل (مراد الحق).

يشوب ذلك تردد ، ولا يُزاحمه[١] مراد.

قوله : «حَيثُمَا وَقَفَ العَبْدَ» يصح أن يكون «العبد[٢]» فاعلاً ، أي حيث ما وقف بإذن ربه لا يلتمس تقدماً ولا تأخراً ، ويصح أن يكون مفعولاً ، وهو أظهر ، أي حيثما وقف الله العبدَ - فإن «وقف» يستعمل لازماً ومتعدياً - أي حيثما وقفه ربه ، لا يطلب تقدماً ولا تأخراً ، وهذا إنما يكون فيما يقفه[٣] فيه من مُراده الكوني الذي لا يتعلق بالأمر والنهي ، وأما إذا وقفه في مراد ديني ، فكماله بطلب[٤] التقدم فيه دائماً ، فإنه إن لم تكن همته التقدم إلىٰ الله في كل لحظة : رجع من حيث لا يدري ، فلا وقوف في الطريق[٥] ولكن إذا وقف في مقام - من الغنىٰ والفقر ، والراحة والتعب ، [٦] والسقم ، والاستيطان ومفارقة الأوطان - يقف حيث وقفه ، فلا[٧] يطلب غير تلك الحالة التي أقامه[٨] فيها ، وهذا لتصحيح[٩] رضاه باختيار الله له ، والفناء به عن اختياره لنفسه.

---

(١) ش (مزاحمة).

(٢) (العبد) سقط من غ.

(٣) أ ، ب ، غ (يقضيه).

(٤) أ ، ب ، غ (أن يطلب).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (البتة).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (والعافية).

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (لا) من غير فاء.

(٨) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٩) أ ، ب ، غ (تصحيح).

وكذلك قوله : «لاَ يَستَزِيدُ مَزِيداً ، وَلَا يَسْتَبدِل حَالاً[١]».

هذا[٢] الذي ذكره الشيخ فرد من أفراد الرضىٰ ، وهو الرضىٰ بالأقسام والأحكام الكونية التي لم يؤمر[٣] بمدافعتها.

وقوله : «وَهُوَ[٤] مِن أَوَائِلِ مَسَالِكِ أَهْلِ الخصُوصِ» يعني أن سلوك أهل الخصوص : هو بالخروج عن النفس ، والخروج عن الإرادة : هو مبدأ الخروج عن النفس ، فإذا[٥] الرضىٰ بهذا الاعتبار من أوائل مسالك الخاصة.

وهذا علىٰ أصله في كون الفناء غاية مطلوبة[٦] فوق الرضىٰ[٧].

والصواب : أن «الرضىٰ» أجلّ منه وأعلىٰ ، وهو غاية لا بداية.

نعم فوقه مقام «الشكر» فهو منزلة بينه وبين منزلة[٨] الصبر.

وقوله : «وَأَشَقُّهَا عَلىٰ العَامَّةِ» وذلك لمشقة الخروج عن الحظوظ علىٰ

---

(١) هذا هو الموضع الثالث من الخلط والتقديم والتأخير في نسخة (ق) حيث رجع هنا إلىٰ قوله: وعيسىٰ علىٰ ما نالهم ص١٨٧٥ إلىٰ أن بلغ (دائماً لكنه) في صفحة ١٨٨٧.

(٢) ط زيادة (المعنىٰ).

(٣) أ ، ب ، غ (لم تؤمر).

(٤) (هو) سقط من ق.

(٥) أ ، ب ، غ (فإن).

(٦) الأصل (مطلوبة) والأصح ما أثبته من م ، غ ، ح٢ ، ط.

(٧) تقدم بيان موقف ابن القيم من الفناء عند الهروي وذلك في مقدمة هذا البحث ص١٦٦٤.

(٨) (منزلة) سقطت من أ ، غ ، ب.

العامة « والرضىٰ » أول ما فيه : الخروج عن الحظوظ [١].

فصل [٢]

درجات الرضى

الدرجة الأولى

قال : «وَهُوَ عَلىٰ ثَلاَثِ دَرَجَاتٍ : الدَّرَجَةُ الأُولىٰ : رِضَىٰ العَامَّةِ ، وَهُوَ الرِّضَىٰ بِاللهِ رَبّاً ، وَتَسَخُّطُ [٣] عبادَةِ مَا دُونه ، وَهَذَا قُطْبُ رَحَىٰ الإِسلاَمِ ، وَهُوَ يُطَهِّرُ مِن الشِّركِ الأَكْبَرِ» [٤].

الرضىٰ بالله رباً : أن لا يتخذ رباً غير الله تعالىٰ يسكن إلىٰ تدبيره ، وينزل به حوائجه ، قال [٥] تعالىٰ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ [٦] أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام : ١٦٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما : «سيداً وإلهاً» [٧] ، يعني فكيف أطلبُ رباً غيره ، وهو ربُّ كلِّ شيء؟ وقال في أول السورة : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام : ١٤] ، يعني معبوداً وناصراً ومعيناً وملجأ ، وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة ، وقال في وسطها : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى

---

(١) أ ، غ ، ب (والله سبحانه وتعالىٰ أعلم) ، ق (والله أعلم).

(٢) (فصل) طمس من أ.

(٣) أ ، غ ، ش ، ح٢ ، م ، ب (بسخط) وهو متفق مع ما في منازل السائرين ص٤٠.

(٤) منازل السائرين ٤٠.

(٥) ط (لفظ الجلالة).

(٦) الأصل ﴿ الله تأمروني أعبد ﴾. وهو خطأ فكأن الناسخ سبق إلىٰ ذهنه قوله تعالىٰ : ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ [الزمر : ٦٤].

(٧) تفسير الطبري ١/ ١٤٢ دون عزو ١٢/ ٢٨٦ ، والبغوي في التفسير ٢/ ١٤٧.

حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، أي أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟ وهذا كتابه سيد الحكام[١]، فكيف نتحاكم إلىٰ غير كتابه؟ وقد أنزله مفصلاً، مبيناً كافياً شافياً.

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل، رأيتها هي نفس الرضىٰ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد[٢] رسولاً، ورأيت الحديث مترجماً[٣] عنها[٤]، ومشتقاً[٥] منها، فكثير من الناس يرضىٰ به[٦] رباً، و[٧] لا يبغي رباً سواه، لكنه[٨] لا يرضىٰ به وحده ولياً[٩]؛ بل يوالي من دونه أولياء[١٠]، ظناً منه أنهم يقربونه إلىٰ الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك، وهذا عين الشرك؛ بل التوحيد: أن لا يتخذ من دونه أولياء، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم

---

(١) ب (الأحكام).

(٢) ط (صلىٰ الله عليه وسلم).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق (يترجم).

(٤) أ، ب، ش (عليها).

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ط (مشتق).

(٦) ط (بالله).

(٧) ق (فلا).

(٨) غ (لكن).

(٩) ط زيادة (وناصراً).

(١٠) أ، م (ولياً) بدل (أولياء).

اتخذوا من دونه أولياء.

وهذا عين[١] موالاة أنبيائه ورسله، وعباده المؤمنين فيه، فإن هذا من تمام الإيمان و[٢] تمام موالاته، فمولاة أوليائه لون، واتخاذ الولي من دونه لون، ومن يفهم الفرقان بينهما فليطلب التوحيد من رأس[٣] فإن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه.

وكثير من الناس يبتغي غيره حكماً، يحاكم[٤] إليه، ويُخاصم إليه، ويَرضىٰ بحكمه، وهذه المقامات الثلاثة هي أركان التوحيد: أن[٥] لا يتخذ سواه رباً، ولا إلهاً، ولا غيره حكماً.

وتفسيره الرضىٰ بالله رباً: أن تسخط[٦] عبادة ما دونه، [وهذا هو الرضىٰ بالله إلهاً، وهو من تمام الرضىٰ بالله رباً، فمن أعطىٰ الرضىٰ به رباً حقه سخط عبادة ما دونه][٧] قطعاً؛ لأن الرضىٰ بتجريد[٨] ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أن

---

(١) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ش (غير).

(٢) ط زيادة (من).

(٣) ط (أساسه).

(٤) ط (يتحاكم).

(٥) (أن) سقطت من ح٢.

(٦) ط (يسخط).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من أ، ب، غ.

(٨) غ، ق (تجريد).

العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الألوهية.

وقوله: «**وَهُوَ قُطبُ رَحَىٰ الإِسْلَامِ**» يعني أن مدار رحىٰ الإسلام علىٰ أن يرضىٰ[١] بعبادته[٢] وحده،[٣] يسخط عبادة غيره، وقد تقدم أن العبادة هي الحُبّ مع الذل، فكل من ذللت له وأطعته وأحببته[٤] دون الله، فأنت عبد[٥] له.

وقوله: «**وَهُوَ يُطَهِّرُ مِن الشِّرْكِ الأَكْبَرِ**» يعني أن الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فهذا الرضىٰ يطهر صاحبه من الأكبر، وأما الأصغر: فيطهره[٦] نزوله[٧] منزلة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾.

* * *

(١) ط زيادة (العبد).

(٢) ط (بعبادة ربه).

(٣) ط زيادة (وأن).

(٤) غ، ح٢ زيادة (من).

(٥) ط (عابد).

(٦) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق زيادة (منه).

(٧) م (نزول).

فصـــل

قال : « وَهُوَ يَصِحُّ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ : أَنْ يَكُونَ اللهُ عَزَّ وَجَل أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلىٰ العَبْدِ[١] ، وَأَوْلىٰ الأَشياءِ بِالتَّعْظِيمِ ، وَأَحَقَّ الأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ»[٢].

[يعني أن هذا النوع][٣] من الرضىٰ إنما يصح بثلاثة أشياء أيضاً:

أحدها : أن يكون الله عز وجل أحب شيء إلىٰ العبد ، وهذه[٤] تعرف بثلاث[٥] أشياء أيضاً[٦]:

أحدها : أن تسبق محبَّته إلىٰ القلب كل محبة ، فتتقدم[٧] محبتُه المحابَّ كلها.

الثاني : أن تقهر محبته كل محبة [فتكون محبته [٨] غيره[٩] مقهورة مغلوبة منطوية في محبته.

---

(١) ش (إليه).

(٢) منازل السائرين ٤٠ ، لكن بلفظ (شرائط) بدل (شروط).

(٣) ما بين المعقوفين طمس من أ.

(٤) م (ولهذه).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (بثلاثة).

(٦) (أيضاً) سقطت من ق.

(٧) الأصل (فيتقدم) والأقرب ما أثبته من بقية النسخ.

(٨) ط ، أ ، غ ، ب ، ح٢ (إلىٰ القلب سابقة قاهرة ومحبة).

(٩) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب زيادة (متخلقة).

الثالث : أن تكون محبة][1] غيره[2] تابعة لمحبته ، فيكون هو المحبوب بالذّات والقصد الأول ، وغيره محبوباً تبعاً لحبِّه ، كما يطاع تبعاً لطاعته ، فهو في الحقيقة المطاع المحبوب.

وهذه الثلاثة في كونه أولىٰ الأشياء بالتعظيم والطاعة أيضاً.

فالحاصل : أن يكون[3] وحده المحبوب المعظم المطاع ، فمن لم يحبه ولم يعظِّمْه[4] ولم يُطعْه : فهو متكبِّر عليه، ومتىٰ أحبّ معه سِواه ، وعظّم معه سواه ، وأطاع معه سواه : فهو مشرك ، ومتىٰ أفرده بالحب والتعظيم والطاعة فهو عبد موحد[5].

فصل

الدرجة الثانية

قال : «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ : الرِّضَىٰ عَن الله ، وَبِهَذَا الرِّضَىٰ[6] نَطَقَتْ آيَاتُ التَّنْزِيلِ ، وَهُوَ الرِّضَىٰ عَنْهُ فِي كُلّ مَا قَضَىٰ وَقَدَّرَ[7] ، وَهَذَا مِنْ أَوَائِلِ مَسَالِكِ أَهْلِ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من د.

(٢) (غيره) سقط من ش.

(٣) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، (ولم يطعه ولم يعظمه).

(٥) ط ، ب ، غ (والله سبحانه وتعالىٰ أعلم) و أ ، ح٢ ، م ، ق (والله أعلم).

(٦) (الرضىٰ) سقط من أ ، ب ، ط.

(٧) (قدّر) ليست في منازل السائرين.

الخُصُوصِ»[١].

الشيخ جعل هذه الدرجة أعلىٰ من الدرجة التي قبلها.

ووجه قوله: أنه لا يدخل في الإسلام إلا بالدرجة الأولىٰ، فإذا استقرّ قدمه عليها دخل في مقام الإسلام.

وأما هذه الدرجة: فمن معاملات القلوب، وهي لأهل الخصوص، وهي الرضىٰ عنه في أحكامه وأقضيته.

وإنما كان من أول مسالك أهل الخصوص؛ لأنه مقدمة للخروج عن النفس، والذي هو طريق أهل الخصوص؛ فمقدمته بداية سلوكهم؛ لأنه يتضمن خروج العبد عن حظوظه، ووقوفه[٢] مع مراد الله[٣] لا[٤] مع مراد نفسه.

هذا تقرير كلامه، وفي جعله هذه الدرجة أعلىٰ من التي قبلها نَظَر لا يخفىٰ، وهو[٥] نظير جعله الصبر بالله أعلىٰ من الصبر لله.

والذي ينبغي: أن يكون[٦] الدرجة الأولىٰ[٧] أعلىٰ شأناً وأرفع قدراً، فإنها

---

(١) منازل السائرين ٤٠.

(٢) ش (ووقوعه).

(٣) ش، ق زيادة (عزّ وجلّ).

(٤) (لا) سقطت من ق.

(٥) (وهو) سقطت من م، ح٢، ق.

(٦) ط، ق (تكون).

(٧) (الأولىٰ) سقطت من د.

مختصة وهذه الدرجة مشتركة، فإن الرضىٰ بالقضاء يصح من المؤمن والكافر، وغايته التسليم لقضاء الله وقدره ، فأين هذا من الرضىٰ به رباً وإلهاً ومعبوداً وحكماً[١]؟ فالرضىٰ به رباً فرض ؛ بل هو آكد الفروض باتفاق الأمة ، فمن لم يرض به رباً لم يصح له إسلام ولا عمل[٢] [٣].

وأما الرضىٰ بقضائه : فأكثر الناس علىٰ أنه مستحب ، وليس واجباً ، وقيل : بل هو واجب ، وهما قولان في مذهب أحمد[٤].

فالفرق ما[٥] بين الدرجتين فرق ما بين الفرض والندب ، وفي الحديث الإلهي الصحيح **«يقول الله عزّ وجلّ : ما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه»**[٦] ، فدل علىٰ أن التقرب إليه سبحانه بأداء الفرض[٧] أفضل وأعلىٰ من التقرب إليه بالنوافل.

وأيضاً : فإن الرضىٰ به رباً[٨] يتضمن الرضىٰ عنه ، ويستلزمه ، فإن الرضىٰ

---

(١) (وحكماً) سقطت من أ ، ط ، ب ، غ ، د وفي م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (وأيضاً) ح٢ ، م (حكماً وأيضاً).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ولا حالاً).

(٣) انظر التحفة العراقية ٣٥٧.

(٤) (وهما قولان في مذهب أحمد) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٥) (ما) سقطت من ط.

(٦) البخاري. الرقاق (٤/ ١٩٢) ح(٦٥٠٢) ، وهو المعروف بحديث الولي.

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (فرائضه).

(٨) (رباً) سقطت من ش.

بربوبيته : هو رضىٰ العبد بما يأمره به ، وينهاه عنه ، ويقسمه له ويقدره عليه[١] ، ويعطيه إيّاه ، ويمنعه منه ، فمتىٰ لم يرض بذلك كله لم يكن قد رضي به رباً من جميع الوجوه، وإن كان راضياً به رباً[٢] من بعضها، فالرضىٰ به رباً من كل وجه: يستلزم الرضىٰ عنه ، ويتضمنه بلا ريب.

وأيضاً : فالرضىٰ به رباً يتعلق[٣] بذاته ، وصفاته وأسمائه ، وربوبيته العامة والخاصة فهو[٤] الرضىٰ به خالقاً ومدبراً ، وآمراً وناهياً ، وملكاً ومعطياً ومانعاً ، وحكماً ، ووكيلاً ووليّاً ، وناصراً ومعيناً ، وكافياً وحسيباً ورقيباً ، ومبتلياً ، ومعافياً ، وقابضاً وباسطاً ، إلىٰ غير ذلك من صفات ربوبيته.

وأما الرضىٰ عنه : فهو رضىٰ العبد بما يفعله به ، ويعطيه إيّاه ، ولهذا إنما جاء[٥] في الثواب والجزاء ، كقوله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر :٢٧ ، ٢٨] فهذا رضاها[٦] عنه لما حصل لها من كرامته ، و[٧]كقوله تعالىٰ : ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

---

(١) ق (إليه).

(٢) (رباً) سقطت من أ ، ب.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (متعلق).

(٤) ق (هو).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (لم يجئ إلا) وفي ق (المجي) مع سقوط (إلا).

(٦) ق (برضاها له) ، وفي م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (برضاها بالله) ، وفي م ، ط (برضاها).

(٧) (الواو) سقطت من ط.

خَٰلِدِينَ[١] فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة :٨].

والرضىٰ به : أصل الرضىٰ عنه ، والرضىٰ عنه : ثمرة الرضىٰ به.

وسر المسألة : أن الرضىٰ به متعلق[٢] بأسمائه وصفاته ، والرضىٰ عنه : متعلق بثوابه وجزائه.

وأيضاً : فإن النبي علّق ذوقَ طعم[٣] الإيمان بمن رضي بالله رباً ، ولم يعلقه بمن رضيَ عنه[٤]، كما قال: «**ذاق طَعمَ الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد[٥] رسولاً**» [٦] ، فجعل الرضىٰ به قرين الرضىٰ بدينه ونبيه ، وهذه الثلاثة هي أصول الإسلام ، التي لا يقوم إلا بها[٧][٨].

وأيضاً : فالرضىٰ به رباً يتضمن توحيده وعبادته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه[٩] وخوفه ورجاءه ومحبتَه ، والصبر له وبه[١٠] ، والشكر علىٰ نعمه ؛

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (بدايتها من قوله تعالىٰ : ﴿خالدين فيها..﴾).

(٢) ق (يتعلق).

(٣) (طعم) سقطت من ش.

(٤) انظر كلام شيخ الإسلام عن هذه المسألة في التحفة العراقية ٣٧٢.

(٥) ط (صلىٰ الله عليه وسلم).

(٦) سبق تخريجه ص١٨٨٢.

(٧) ط (وعليها).

(٨) انظر التحفة العراقية ٣٧٢.

(٩) م (إليه).

(١٠) (وبه) سقطت من ب.

بل[١] رؤية كل ما منه نعمة وإحساناً ، وإن ساء عبدَهُ ، فالرضىٰ به رباً[٢] يتضمن «شهادة أن لا إله إلا الله» ، والرضىٰ بمحمد رسولاً ، يتضمن « شهادة أن محمداً رسول الله » ، والرضىٰ بالإسلام ديناً : يتضمن التزام عبوديته ، وطاعته وطاعة رسوله ، فجمعت الثلاثة الدين كله.

وأيضاً فإن الرضىٰ[٣] به رباً[٤] يتضمن اتخاذه معبوداً دون ما سواه ، واتخاذه ولياً ومعبوداً[٥] وقد قال تعالىٰ لرسوله : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام : ١١٤] وقال : ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام :١٤] ، وقال : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام :١٦٤] فهذا هو عين الرضىٰ به رباً.

وأيضاً : فإنه جعل حقيقة الرضىٰ به رباً[٦] : أن يسخط[٧] عبادة ما دونه ، فمتىٰ سخط العبد[٨] عبادة ما سواه[٩] من الآلهة الباطلة ، حباً وخوفاً ، ورجاءً وتعظيماً ، وإجلالاً - فقد تحقق بالرضىٰ به[١٠] الذي هو قطب رحىٰ الإسلام.

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (يتضمن) بدل (بل) ، ق (بل يتضمن).

(٢) (رباً) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٣) أ ، ب ، غ ، ح٢ (فالرضىٰ).

(٤) (رباً) سقط من ق.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (وإبطال كل ما سواه) وفي ط (وإبطال عبادة كل ما سواه).

(٦) (رباً) سقطت من أ ، غ ، ب.

(٧) ق (تسخط).

(٨) (العبد) سقط من أ ، ب ، غ.

(٩) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (سوىٰ الله).

(١٠) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (رباً).

وإنما كان قطب رحىٰ الدين : لأن جميع العقائد والأعمال ، والأحوال : إنما تنبني علىٰ توحيد الله عزّ وجلّ في العبادة ، وسخط عبادة ما سواه ، فمن لم يكن له هذا القطب لم يكن له رحىٰ يدور عليه ، ومن حصل له هذا القطب ثبتت له الرحىٰ التي تدور عليه[1] فيخرج حينئذ من دائرة الشرك إلىٰ دائرة الإسلام ، فتدور رحىٰ إسلامه وإيمانه علىٰ قطبها الثابت اللازم.

وأيضاً : فإنه جعل حصول هذه الدرجة من الرضىٰ موقوفاً علىٰ كون المرضي به رباً - سبحانه - أحبَّ إلىٰ العبد من كل شيء ، وأولىٰ الأشياء بالتعظيم ، وأحق الأشياء بالطاعة ، ومعلوم أن هذا يجمع قواعد العبودية ، وينظم فروعها وشُعَبها.

ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلىٰ المحبوب : كان ذلك الميل حاملاً علىٰ طاعته وتعظيمه ، وكلما كان الميل أقوىٰ : كانت الطاعةُ أتمَّ ، والتعظيمُ أوفرَ ، وهذا الميل يلازم الإيمان ؛ بل هو روح الإيمان ولُبُّه ، فأي شيء يكون أعلىٰ من أمر يتضمن أن يكون الله سبحانه أحبَّ الأشياء إلىٰ العبد ، وأولىٰ الأشياء بالتعظيم ، وأحقَّ الأشياء بالطاعة؟.

وبهذا يجد العبد حلاوة الإيمان ، كما في الصحيح عنه أنه قال : «ثلاث من كن فيه وجد بهن[2] حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ودارت علىٰ ذلك القطب).

(٢) (بهن) سقط من ط.

ومن كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، ومن كان يكره أن يعود[١] في الكفر - بعد إذ أنقذه[٢] الله منه - كما يكره أن يُلقىٰ في النار» [٣].

فعلق ذوق الإيمان بالرضىٰ بالله رباً ، وعلّق وَجد[٤] حلاوته بما هو موقوف عليه ، ولا يتم إلا به ، وهو كونه سبحانه أحب الأشياء إلىٰ العبد هو ورسوله.

ولما كان هذا الحب التام ، والإخلاص - الذي هو ثمرته - أعلىٰ من مجرد الرضىٰ بربوبيته سبحانه : كانت ثمرته أعلىٰ ، وهي[٥] وَجْد حلاوة الإيمان ، وثمرة الرضىٰ : ذوق طعم الإيمان ، فهذا وجد لحلاوة[٦] ، وذاك[٧] ذوق لطعم[٨]. والله المستعان.

وإنما ترتب هذا وهذا علىٰ الرضىٰ به وحده رباً ، والبراءة[٩] من عبودية ما

---

(١) الأصل (يرجع في الكفر) و أ ، ح٢ ، ط (يرجع إلىٰ الكفر) والصحيح ما أثبته من البخاري ومسلم.

(٢) ق (أنقذ الله).

(٣) البخاري. الإيمان (١/ ٢٢) ح(١٦) ، مسلم. الإيمان (١/ ٦٦) ح(٤٣) ، أحمد (٣/ ١٠٣) ، الترمذي. الإيمان (٥/ ١٥) ح(٢٦٢٤) ، ابن ماجه. الفتن (٢/ ١٣٣٨) ح(٤٠٣٣).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط (وجود).

(٥) ط (وهو).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (حلاوة).

(٧) (وذاك) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق ، ط.

(٨) ط ، م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (طعم).

(٩) ب (بالبراءة).

سواه ، ميل القلب بكليته إليه[١] ، وانجذاب قُوىٰ المحب[٢] كلها إليه ، ورضاه عن ربه تابع لهذا الرضىٰ ، فمن رضي بالله[٣] رباً[٤] رضيه الله له عبداً ، ومن رضي عنه في عطائه ومنعه وبلائه وعافيته : لم ينل بذلك درجة[٥] رضىٰ الرب عنه ، إن لم يرض به رباً ، وبنبيه رسولاً ، وبالإسلام ديناً ، فإن العبد قد يرضىٰ عن[٦] الله[٧] فيما أعطاه[٨] ومنعه ، ولم[٩] يرضىٰ به وحده معبوداً وإلهاً ، ولهذا إنما ضمن رضىٰ العبد يوم القيامة لمن رضي به رباً ، كما قال النبي : «**من قال كلّ يوم : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً : إلا كان حقاً علىٰ الله أن يرضيه يوم القيامة**»[١٠].

---

(١) ب (عليه) ، ش (إلىٰ الله).

(٢) أ ، م ، ح٢ ، غ ، د ، ق (الحب).

(٣) ط (الله) فالباء ساقطة.

(٤) (رباً) سقط من الأصل والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

(٥) (درجة) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٦) أ ، ب ، غ (عنه).

(٧) ط (ربه).

(٨) ط زيادة (فيما).

(٩) ط (ولكن لا) بدل (ولم).

(١٠) أحمد (٤/ ٣٣٧) ، أبو داود. الأدب (٥/ ٣١٤) ح(٥٠٧٢) ، ابن ماجه. الدعاء (٢/ ١٢٧٣) ح(٣٨٧٠) وقال محققه إسناده صحيح ورجاله ثقات ، السنن الكبرىٰ للنسائي (٢/ ١٤٥) ح(١٠٣١٨) ، وفي مسلم. الصلاة (١/ ٢٩٠) ح(٣٨٦) : « من قال حين يسمع المؤذن : رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً ؛ غفر له ذنبه » .

فصل

(١)إذا عرف هذا فلنرجع(٢) إلىٰ شرح كلامه، قال:

«وَبِهَذَا الرِّضَىٰ نَطَقَ التَّنزِيل».

الآيات الواردة في منزلة الرضى

يشير إلىٰ قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩] وقال تعالىٰ(٣): ﴿[لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ](١) وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ(٥)﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال(٦): (٧) ﴿[جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ](٨) خَٰلِدِينَ فِيهَآ

---

(١) م، أ، غ، ح٢، ب (فإذا).

(٢) ق (فليرجع).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، ط، د، ق (في آخر سورة المجادلة).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من بقية النسخ وهو في الأصل، ش.

(٥) في بقية النسخ ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

(٦) (وقال) سقطت من ق.

(٧) م، أ، غ، ح٢، ب، ط، د، ق (في آخر سورة لم يكن) و (سورة) سقطت من ق.

(٨) ما بين المعقوفين سقط من الجميع سوىٰ الأصل.

أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة :٨].

فتضمنت هذه الآيات : جزاءهم علىٰ صدقهم وإيمانهم ، وأعمالهم الصالحة ، ومجاهدة أعدائه ، وعدم ولايتهم ، بأن رضي الله عنهم فأرضاهم فرضوا عنه ، وإنما[١] حصل لهم[٢] هذا بعد الرضىٰ به رباً ، وبمحمد نبياً ، وبالإسلام ديناً.

قوله : «وَهُوَ الرِّضَىٰ عَنْهُ فِي كُلِّ مَا قَضَىٰ».

ههنا ثلاثة[٣] أمور : الرضىٰ بالله[٤] ، و الرضىٰ عن الله ، وا الرضىٰ بقضاء الله.

فالرضىٰ به فرض ، والرضىٰ عنه[٥] - وإن كان من أجلّ الأمور وأشرف أنواع العبودية - فلم يطالب به العموم ، لعجزهم عنه[٦] ، ومشقته عليهم ، وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضىٰ به[٧] ، واحتجوا بحجج.

---

(١) ق زيادة (هو).

(٢) (لهم) سقط من أ ، ب ، غ ، ش.

(٣) ش (ثلاث).

(٤) أ ، غ ، ب زيادة (رباً).

(٥) م (سنة).

(٦) (عنه) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٧) سبقت الإشارة إلىٰ كلام شيخ الإسلام في ذلك ص١٩٠٨، ١٩١٠ ، وهو أيضاً في الفتاوىٰ ١٠/ ٣٨ - ٣٩) ، وقد أنكر شيخ الإسلام علىٰ الهروي مشاهدة القدر وحده ، وبيّن أنه غلط عظيم . انظر الفتاوىٰ (١٠/ ٤٨٧).

منها : أنه إذا لم يكن راضياً عن[١] ربه فهو ساخط عليه ، إذ لا واسطة بين الرضىٰ والسخط ، وسخط العبد علىٰ ربه مناف لرضاه به رباً.

قالوا : وأيضاً فعدم رضاه عنه يستلزم سوء ظنه به[٢] ، ومنازعته[٣] في اختياره لعبده وأن الرب تبارك[٤] وتعالىٰ يختار شيئاً ويرضاه ، فلا[٥] يختاره لعبده ، ولا يرضىٰ[٦] به وهذا مناف للعبودية.

قالوا : وفي بعض الآثار الإلهية : «من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر علىٰ بلائي فليتخذ رباً سواي» [٧] ، ولا حجة في شيء من ذلك.

أما قولهم[٨] : «إنه[٩] لا[١٠] يتخلص من السخط علىٰ ربه إلا بالرضىٰ عنه ، إذ لا واسطة بين الرضا والسخط» فكلام مدخول[١١] ؛ لأن السخط بالمقضي لا

---

(١) م ، ش (من).

(٢) (به) سقطت من (م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (له).

(٤) (تبارك) سقط من ق.

(٥) أ ، ب ، غ (ولا).

(٦) ط (يرضاه).

(٧) تقدم ص١٨٨٠.

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط (قوله).

(٩) (إنه) سقط من أ ، ب ، غ.

(١٠) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (لم) بدل (لا).

(١١) من مخالفات ابن القيم للهروي.

يستلزم السخط علىٰ من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبغضه والنفرة عنه لا تستلزم تعلق ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه العبد وهو راضٍ عمن قدره وقضاه[1] ؛ بل[2] يجتمع تسخطه والرضىٰ بنفس القضاء[3] ،

---

(١) ط (قضاه وقدره).

(٢) ط زيادة (قد).

(٣) مسألة الرضىٰ بالقضاء دون المقضي : فصل الكلام فيها شيخ الإسلام في معرض الحديث عن الرسالة القشيرية والشرح لبعض ما ورد عن أعلام الطرق ممن زل في هذا الباب علىٰ النقيض من المعتزلة ، انظر الاستقامة ٢/ ٧٣ ـ ١٢٧ ، الفتاوىٰ ١٠/ ٤٨٢ ـ ٤٨٩ ، وهذه المسألة مباحثها تدور حول الرضا هل هو متعلق بالقدر والمقدور أم بالقدر دون المقدور؟ ، قال ابن القيم : « ومرجع هذا إلىٰ معرفة الفرق بين القضاء الكوني والقضاء الديني.. فإن الديني يجب الرضا به ؛ لأنه من لوازم الإسلام ، والكوني ينقسم إلىٰ قسمين : ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره ، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب علىٰ اختلاف في الوجوب » ، وهذا يتعلق بالقضاء الذي هو المقضي ، أما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله ، كعلمه وكتابته وتقديره ومشيئته فإن الرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً ، وبهذا التفصيل يزول الإشكال واللبس الذي كان مفرق طرق بين الناس. ا. هـ ملخصاً من شفاء العليل ٢٧٨ ، مكتبة الرياض الحديث ، وساق نحوه ابن أبي العز في شرح الطحاوية في معرض الرد علىٰ المعتزلة ٢٥٨ ط/ المكتب الإسلامي ، والسفاريني في لوامع الأنوار ١/ ٣٦١ ـ ٣٦٣ ط/ المكتب الإسلامي ، ونقل شرح الطوفي لتائية ابن تيمية ، وبتلخيص مفصل ذكر ذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين في المجموع الثمين من فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ١٥٥ ومن نفائس كلام شيخ الإسلام قوله : « يخاف علىٰ صاحب الإرادة من ضعف العلم وعلىٰ صاحب العلم من ضعف الإرادة » ، الفتاوىٰ

تعلق الرضى هل بالقدر أم بالمقدور ؟

كما سيأتي[١].

وأما قولكم: «إنه يستلزم سوء ظنٍّ العبد بربه ومنازعته له في اختياره» فليس كذلك؛ بل هو حسن الظن بربه في الحالتين، فإنه إنما يسخط المقدور وينازعه بمقدور آخر، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالقدر الذي يحبه ويرضاه، فينازع قدر الله بقدر[٢] الله بالله و[٣]لله، كما يستعيذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، ويستعيذ به منه.

وأما «كونه يختار لنفسه ما يختاره الرب» فهذا[٤] موضع تفصيل، لا يُسحب عليه ذيل النفي والإثبات، فاختيار الرب[٥] لعبده نوعان:

أحدهما[٦]: **اختيار ديني شرعي**، فالواجب علىٰ العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فاختيار العبد خلاف

١٠/ ٤٨٩ فالأول وصف الصوفية والثاني وصف القدرية والمعتزلة، وانظر تفصيل الخلاف في المسألة في التحفة العراقية ٣٥٩ وما بعدها.

(١) أ، ب، غ، ط (إن شاء الله).

(٢) (بقدر) سقطت من أ، ب، غ، م.

(٣) (الواو) ساقطة نم أ، ب، غ، ط.

(٤) غ (فهو).

(٥) ق (تعالىٰ).

(٦) (أحدهما) سقطت من ش.

ذلك مناف لإيمانه وتسليمه ، ورضاه بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً.

النوع الثاني : اختيار كوني قدري ، لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي[1] يَبتلي اللهُ بها عبده[2] ، فهذا لا يضره فِراره منها إلىٰ القدر الذي يرفعها عنه ، ويدفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للربوبية ، وإن كان فيه منازعة للقدر بالقدر.

فهذا يكون تارة واجباً ، وتارة يكون[3] مستحباً ، وتارة يكون مباحاً مستوي الطرفين ، وتارة يكون حراماً ، وتارة يكون مكروهاً[4].

وأما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه - مثل قدر المعائب والذنوب - فالعبد مأمور بسخطها ، منهي عن الرضىٰ بها.

وهذا هو التفصيل الواجب في الرضىٰ بالقضاء[5].

وقد اضطرب الناس في ذلك اضطراباً عظيماً ، ونجا منه أصحاب الفِرَق والتفصيل ، فإن لفظ «الرِّضىٰ بالقضاء» لفظ محمود مأمور به ، وهو من

---

(١) الأصل (الذي) والأقرب ما أثبته من جميع النسخ.

(٢) ق (عبده بها).

(٣) (يكون) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ش (وتارة يكون مكروهاً ، وتارة يكون حراماً).

(٥) ق (بالقدر) بدل (القضاء).

مقامات الصديقين ، فصار[١] له حرمة أوجبت لطائفة[٢] قبوله من غير تفصيل ، وظنوا أن كل[٣] ما كان [مقضياً للرب تعالىٰ مخلوقاً ينبغي الرضا به][٤] ثم انقسموا[٥] فرقتين :

فقالت فِرقة : إذا كان القضاء والرضىٰ متلازمين[٦] ، فمعلوم أنّا مأمورون ببغض المعاصي ، والكفر والظلم ، فلا تكون مقضية مقدرة[٧][٨].

وفرقة قالت : قد دلّ العقل والشرع علىٰ أنها واقعة بقضاء الله وقدره ، فنحن نرضىٰ بها[٩].

---

(١) أ ، ب ، م ، ح٢ (فصارت).

(٢) ش (الطائفة) ، وهي إشارة إلىٰ الصوفية القائلين بهذا القول كما سيأتي قريباً.

(٣) (كل) سقطت من ش.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق (مخلوقاً للرب تعالىٰ فهو مقضي مرضي ينبغي له الرضىٰ به) ، وكلمة (فهو) سقطت من ح٢ ، د ، م ، ق ، وكلمة (مقضي) سقطت من أ ، ب ، غ ، وكلمة (مرضي) سقطت من د ، ق ، و(له) سقطت من ق.

(٥) ط زيادة (علىٰ).

(٦) من قال بالتلازم فقد جمع بين النقيضين ، انظر الاستقامة ٢/ ١٣٨ ، وهو حمق وجهل وانظر بدائع الفوائد ١/ ٥.

(٧) أ ، ب ، غ (مقدورة).

(٨) وهذا قول المعتزلة القدرية ، انظر الاستقامة ٢/ ٧٧ ـ ١٣٨ ، شرح الطحاوية ٢٥٨ ، لوامع الأنوار ١/ ٣٦١.

(٩) الجبرية والصوفية ، الاستقامة ٢/ ٧٧ ـ ٧٨ ، ٢/ ١٣٨.

والطائفتان منحرفتان جائرتان[1] عن قصد السبيل ، فأولئك أخرجوها عن قضاء الرب وقدره ، وهؤلاء رضوا بها ولم يسخطوها ، هؤلاء خالفوا الرب تعالىٰ في رضاه وسخطه ، وخرجوا عن شرعه ودينه ، وأولئك أنكروا تعلق قضائه وقدره بها[2].

واختلفت طرق أهل الإثبات للقدر والشرع في جواب الطائفتين :

فقالت طائفة : لم يقم دليل من الكتاب والسنة ولا الإجماع علىٰ جواز الرضىٰ بكل قضاء ، فضلاً عن وجوبه واستحبابه ، فأين أمر الله عباده ورسوله : أن يرضوا بكل ما قضاه الله وقدره؟[3].

وهذه طريقة كثير من أصحابنا وغيرهم ، وبه أجاب القاضي أبو يعلىٰ وابن الباقلاني[4].

قال : فإن قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره؟.

---

(١) جائرتان : الجور الميل عن القصد والجور في الحكم.. مختار الصحاح ١١٦.

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام عن الطائفتين في الفتاوىٰ ٦/ ١١٥ ـ ١١٦ ، منهاج السنة ١/ ٣٥٨ ط. مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) قال شيخ الإسلام : « وأما الرضىٰ بالكفر والفسوق والعصيان فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يرضىٰ بذلك ، فإن الله لا يرضاه كما قال تعالىٰ : ﴿ولا يرضىٰ لعباده الكفر﴾» ، الاستقامة ٢/ ٧٥ ـ ١٢٣.

(٤) ذكره شيخ الإسلام في الاستقامة ٢/ ١٢٥ ، والفتاوىٰ ١٠/ ٧٠٩ ، ونسبه للقشيري في الرسالة القشيرية.

قيل له : نرضىٰ بقضاء الله الذي هو خلقه[١] ، الذي أمرنا أن نرضىٰ به ، ولا نرضىٰ من ذلك ما نهانا عنه أن نرضىٰ به ، ولا نتقدم بين يدي الله تعالىٰ ، ولا نعترض علىٰ حكمه.

وقالت طائفة أخرىٰ : يطلق الرضىٰ بالقضاء في الجملة ، دون تفاصيل المقضي المقدر ، فنقول : نرضىٰ بقضاء الله جملة ولا نسخطه ، ولا نطلق الرضىٰ علىٰ كل واحد من تفاصيل المقضي ، كما يقول المسلمون : كل شيء يَبيد ويهلك، ولا يقولون : حُجَجُ الله تبيد وتهلك، ويقولون : الله رب كل شيء، ولا يضيفون ربوبيته إلىٰ الأعيان المستخبثة المستقذرة[٢] بخصوصها.

وقالت طائفة أخرىٰ : نرضىٰ بها من جهة إضافتها إلىٰ الرب خلقاً ومشيئة[٣]، ونسخطها من جهة إضافتها إلىٰ العبد كسباً[٤] وقياماً به[٥].

وقالت طائفة أخرىٰ : بل نرضىٰ بالقضاء ونسخط المقضي ، فالرضىٰ والسخط لم يتعلقا بشيء واحد.

---

(١) قال شيخ الإسلام : « وأما من قال بالرضا بالقضاء الذي هو وصف الله وفعله لا بالمقضي الذي هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام ، فإن الكلام ليس في الرضىٰ فيما يقوم بذات الرب تعالىٰ من صفاته وأفعاله ، وإنما الكلام في الرضا بمفعولاته.. » الفتاوىٰ ١٠/ ٤٢-٤٣.

(٢) (المستقذرة) سقطت من أ ، م ، ب.

(٣) الأصل (ومشيئها) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط.

(٤) ق زيادة (له).

(٥) ح٢ (وقيامه بها).

وهذه الأجوبة لا يتمشىٰ شيء[١] منها علىٰ أصول من يجعل محبة الرب تعالىٰ ورضاه ومشيئته واحدة ، كما هو أحد قولي الأشعرية[٢] ، وأكثر[٣] أتباعه[٤].

فإن هؤلاء يقولون : إن كل ما شاءه وقضاه فقد أحبه ورضيه ، وإذا كان الكون محبوباً له مرضياً ، فنحن نحب ما أحبه ، ونرضىٰ ما رضيه[٥].

---

(١) (شيء) سقطت من ش.

(٢) ق (الأشعري).

(٣) الأصل (من) والأقرب حذفها كما في بقية النسخ.

(٤) القول : (بأن الإرادة تستلزم الرضىٰ هو قول الجهمية والمعتزلة وأغلب الأشاعرة) وهو مرتبط بمسألة تعليل أفعال الله ، إذ توهم التعارض بين الأمر والقدر ، حدا بالأشاعرة إلىٰ إنكار التعليل ، إذْ كيف يريد أمراً إرادة كونية كالكفر ، ثم لا يحبها ولا يرضاها ولا يريدها ديناً ، فرأوا أن الخروج من هذا المأزق يكون بإنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله وأوامره.. انظر أقوالهم في : المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ٦ ، قسم٢ ص٥١- ٥٦ ، الإنصاف للباقلاني ص٦٩ -٧٠ ، لباب العقول للمكلاتي ٢٨٨ ، وانظر فيما لخصته أعلاه رسالة د/ المحمود ، موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ٣/ ١٣١٥- ١٣١٦.

وقال شيخ الإسلام : «.. وإنما ضل هنا فريقان من الناس : قوم من أهل الكلام المنتسبين إلىٰ السنة في مناظرة القدرية ، ظنوا أن محبة الحق ورضاه وغضبه وسخطه يرجع إلىٰ إرادته.. وقالوا هو محب لها مريد لها ، ثم أخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه..» ، الاستقامة ٢/ ٧٦ - ٧٧ . وانظر الفتاوىٰ ١٠/ ٦٨٣ - ٦٨٥ ، بدائع الفوائد ١/ ٥ ، ولبعض الأشاعرة قول أخف عبارة من السابقين ، انظر فيه الإرشاد للجويني ٢٣٩ ، شرح المواقف ٢٨٨ جزء مستقل محقق ، ولباب العقول ٢٨٨ ، بدائع الفوائد ١/ ٥ .

(٥) ق (ما رضي به).

وقولكم : إن الرضىٰ بالقضاء يطلق جملة ، ولا يطلق تفصيلاً [لا مخلص في هذا المقام ، فإنه وإن لم يطلق تفصيلاً][1] فذلك في جملة المرضي به ، فيعود[2] الإشكال.

وقولكم : نرضىٰ بها من جهة كونها[3] خلقاً لله ، ونسخطها من جهة كونها كسباً للعبد : فكسب العبد إن كان أمراً وجودياً فهو خلق لله فنرضىٰ[4] به ، وإن كان أمراً عدمياً فلا حقيقة له ترضي ولا تسخط[5].

وأما قولكم : نرضىٰ بالقضاء دون المقضي : فهذا إنما يصح علىٰ قول من جعل[6] القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول ، وأما من لم يُفرِّق بينهما : فكيف يصح هذا علىٰ أصله؟.

وقد أورد القاضي[7] الباقلاني[8] علىٰ نفسه هذا السؤال ، فقال :

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٢) م زيادة (له).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق زيادة (أنها).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ش ، ق (فيرضىٰ).

(٥) الأصل (برضىٰ ولا بسخط) ، ش (يرضىٰ ولا يسخط) ، م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (يرضىٰ ولا تسخط) والأقرب ما أثبته من د ، ق ، ط.

(٦) ط (يجعل).

(٧) ق زيادة (أبو بكر).

(٨) (الباقلاني) سقط من ق.

فإن قيل : القضاء عندكم هو المقضي[١] ، أو غيره؟.

قيل : هو علىٰ ضربين ، فالقضاء - بمعنىٰ الخلق - هو المقضي ؛ لأن الخلق هو المخلوق ، والقضاء - الذي هو الإلزام والإعلام والكتابة - : غير المقضي ؛ لأن الأمر غير المأمور ، والخبر غير المخبر عنه[٢][٣].

وهذا الجواب لا يخلصه أيضاً ؛ لأنّ الكلام ليس في الإلزام والإعلام والكتابة ، وإنما في نفس الفعل المقدر[٤] المعلم به المكتوب : هل مقدره وكاتبه سبحانه راض به أم لا؟ وهل العبد مأمور بالرضىٰ به نفسه أم لا؟ هذا[٥] حرف المسألة.

وقد أنكر الله سبحانه[٦] علىٰ من جعل مشيئته وقضاءه مستلزمين[٧] لمحبته ورضاه فكيف بمن جعل ذلك شيئاً واحداً؟ قال الله تعالىٰ : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن

---

(١) ق (القضاء).

(٢) م ، ح٢ (به) بدل (عنه).

(٣) انظر الإنصاف للباقلاني ٢٢٧ - ٢٢٩ تحقيق عماد الدين أحمد حيدر.

(٤) د ، ط (المقدور).

(٥) ط زيادة (هو).

(٦) ط (وتعالىٰ).

(٧) الأصل (مستلزماً) والأقرب ما أثبته من بقية النسخ.

تَنَبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام :١٤٨] وقال تعالىٰ : ﴿[وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ][1] لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ[2] فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[النحل : ٣٥] وقال تعالىٰ : ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۚ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۚ﴾ [الزخرف :٢٠].

فهم استدلوا علىٰ محبته ورضاه لشركهم[3] بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل أمره ونهيه ، وفيه أَبْيَنُ[4] الرد لقول من جعل مشيئته عين[5] محبته ورضاه، فالإشكال إنما نشأ من جعلهم المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه[6] بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالىٰ راضياً محباً لذلك ، والتزام رضاهم به.

والذي يكشف هذه الغمة، ويبصر من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة[7] :

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ش.

(٢) (كذلك) سقطت من ش.

(٣) ق ، ط زيادة (ورضاه عنه).

(٤) ق ، ط (أن بين).

(٥) غ (غير) وهو خطأ يغيِّرُ المعنىٰ ، ومع ذلك اتفقت عليه جميع الطبعات حتىٰ طبعة رشيد رضا - رحمه الله - كما في ٢/ ١٠٧.

(٦) الأصل (زاده) والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٧) الورطة : أرض منخفضة لا طريق فيها، والهوة العميقة في الأرض، وكل أمر تعسر النجاة منه ، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٢٥.

(١) التفريق(٢) بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة فليسا(٣) واحداً ، ولا هما متلازمين ؛ بل قد يشاء ما لا يحبه ، ويحب ما لا يشاء كونه.

فالأول : كمشيئة لوجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه.

والثاني : كمحبته(٤) إيمان الكفار ، وطاعات(٥) الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله وكان جميعه ، فإنه ما شاء الله(٦) كان ، وما لم يشأ لم يكن.

فإذا تقرر هذا الأصل ، وأن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله لم يأمر عباده بالرضىٰ بكل ما خلقه وشاءه : زالت الشبهات ، وانحلَّتْ الإشكالات ، ولله الحمد ، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض ، بحيث يظن إبطال أحدهما للآخر :(٧) ؛ بل القدر ينصر الشرع ، والشرع يصدق القدر ، وكل منهم يحقق الآخر.

---

(١) ط (إنما هو).

(٢) ق (التفرقة).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (فإنهما ليسا).

(٤) ط ، ق ، ح٢ (كمحبة).

(٥) ح٢ (وطاعة).

(٦) (لفظ الجلالة) سقط من ق.

(٧) ش (الآخر).

إذا عُرف[١] هذا فالرضىٰ بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب علىٰ العبد أن يكون راضياً به بلا حرج، ولا منازعة ولا معارضة، ولا اعتراض، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتىٰ يحكموا رسوله، و[٢]يرتفع الحرج[٣] من نفوسهم من حكمه، و[٤]يسلّموا لحكمه[٥]، وهذا حقيقة[٦] الرضىٰ بحكمه.

فالتحكيم: في مقام الإسلام، [وانتفاء الحرج: في مقام الإيمان][٧]، والتسليم في مقام الإحسان.

ومتىٰ خالط القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحَيِيَ بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقىٰ أحكام الرب تعالىٰ بصدر واسع منشرح مسلم: فقد رضي كل

---

(١) ق (عرفت).

(٢) ط زيادة (حتىٰ).

(٣) ب (الجزع) بدل (الحرج).

(٤) ط زيادة (حتىٰ).

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق زيادة (تسليماً).

(٦) ش (حقيقته).

(٧) أ، ب، غ (والرضىٰ في مقام الإيمان) بدلاً عما بين المعقوفين.

الرضىٰ بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله[١][٢].

والرضىٰ بالقضاء الكوني القدري، الموافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه - من الصحة، والغنىٰ، والعافية، واللذة - أمر لازم بمقتضىٰ الطبيعة؛ لأنه[٣] ملائم للعبد، محبوب له، فليس في[٤] الرضىٰ به عبودية؛ بل العبودية في مقابلته بالشكر، والاعتراف بالمنة، ووضع النعمة مواضعها التي يحب[٥] الله أن توضع فيها، وأن لا يعصي المنعم بها[٦].

والرضىٰ بالقضاء الكوني القدري، الجاري علىٰ خلاف مراد العبد ومحبته

---

(١) ط (ولرسوله).

(٢) شاهد ذلك ما جاء في قصة أبي سفيان مع هرقل عظيم الروم حين سأله هل يرجع أحد عن الإسلام سخطه عليه، قال: «**وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد**»، أخرجه البخاري. بدء الوحي (١/ ١٦ - ١٧) ح(٧)، ابن حبان في الثقات (٢/ ٣١)، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ١٧٨)، ابن منده في الإيمان (١/ ٢٩٠)، اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٩٢).

وقال القاضي عياض في معنىٰ حديث «**ذاق طعم الإيمان**»: «صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضي أمراً سهل عليه، فهكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه الطاعة..»، الديباج علىٰ صحيح مسلم (١/ ٥١) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

(٣) الأصل (فلأنه) والأقرب ما أثبته من م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق.

(٤) م، ش زيادة (هذا).

(٥) د (يحبها).

(٦) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق زيادة (ويرىٰ التقصير في جميع ذلك) و ط (وأن..).

مما لا يلائمه ، ولا يدخل تحت اختياره - مستحب ، وهو من مقامات[١] الإيمان ، وفي وجوبه قولان ، وهذا كالمرض والفقر ، وأذىٰ الخلق له ، والحر والبرد ، والآلام ونحو ذلك[٢].

والرضىٰ بالقدر الجاري عليه باختياره - مما يكرهه الله ويسخطه ، وينهىٰ عنه - كأنواع الظلم والفسوق والعصيان : حرام يُعاقب عليه ، وهو مخالف لربه تعالىٰ ، فإن الله لا يرضىٰ بذلك ولا يحبه ، فكيف تتفق المحبة ورضىٰ ما يسخطه الحبيب ويبغضه؟ فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضىٰ بالقضاء[٣].

فإن قلت : كيف[٤] يريد الله سبحانه أمراً لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكوِّنه؟ وكيف تجتمع إرادة الله له وبغضه وكراهيته؟.

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (أهل).

(٢) سبقت الإشارة إلىٰ هذين القولين (ص ١٩٠٨، ١٩١٧).

وقال شيخ الإسلام : «النوع الثاني : الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل ، فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء ، وليس بواجب ، وقد قيل إنه واجب ، والصحيح أن الواجب هو الصبر كما قال الحسن البصري - رحمه الله - : الرضىٰ عزيز ولكن الصبر معوَّل المؤمن» الاستقامة ٢/ ٧٤ ، التحفة العراقية ٣٥٦.

(٣) بعد ما ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في ذلك وفصل القول فيها قال : «.. ولكن يرضىٰ بما أصابه من المصائب لا بما يفعله من المعايب ، فهو من الذنوب يستغفر وعلىٰ المصائب يصبر» ، الاستقامة (٢/ ٧٩) ، الفتاوىٰ (١٠/ ٦٨٣ - ٦٨٥).

(٤) أ ، ب (فكيف).

قيل : هذا السؤال[١] هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً ، وتباينت عنه[٢] طرقهم وأقوالهم.

فاعلم أن «المُراد» نوعان : مُراد لنفسه ، ومُراد لغيره.

فالمراد لنفسه : مطلوب لذاته وما[٣] فيه من الخير ، فهو مرادٌ إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره : قد لا يكون في نفسه مقصوداً للمريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلىٰ ذاته ، وإن كان وسيلة إلىٰ مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلىٰ مراده، فيجتمع فيه الأمران : بغضه ، وإرادته ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما[٤] ، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة ، [إذا علم متناوله أن فيه شفاءه ، وكقطع العضو][٥] المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاءَ جسده ، وكقطع المسافة الشاقة جدًّا إذا علم أنها توصله[٦] إلىٰ مراده ومحبوبه؛ بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته ، وطُويت عنه مغبَّته ، فكيف بمن لا تخفىٰ عليه

---

(١) ق (هذا هو السؤال الذي).

(٢) ط (عنده).

(٣) ط (ولما).

(٤) غ (تعلقهما)

(٥) العبارة في ق (أنه فيه جداً إذا علم متناوله إذ فيه شفاؤه وكقطع العضو..).

(٦) ش (توصل).

العواقب؟ فهو سبحانه وتعالىٰ يكره الشيء ويبغضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك إرادته لغيره ، وكونه سبباً إلىٰ أمر[١] هو أحب إليه من فوته.

مثال ذلك: أنه سبحانه خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال، والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب شقاوة العبيد ، وعملهم بما يُغضب الرب تبارك وتعالىٰ ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه بكل طريق وكل[٢] حيلة ، فهو مبغوض للرب سبحانه وتعالىٰ مسْخوط له ، لعنه الله ومقته ، وغضب عليه ، ومع هذا فهو وسيلة إلىٰ محاب كثيرة للرب تعالىٰ ترتبت علىٰ خلقه ، وجودها أحبُّ إليه من عدمها.

[٣]منها : أن تُظهر للعباد قدرة الرب تعالىٰ علىٰ خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات - التي هي من[٤] أخبث الذوات وشرها ، وهي سبب كل شر - في مقابلة ذات جبريل[٥] التي هي أشرف الذوات ، وأطهرها وأزكاها ، وهي مادة كل خير ، فتبارك[٦] الله خالق هذا وهذا ، كما ظهرت لهم قدرته التامة في خلق الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والداء والدواء ،

---

(١) أ ، ب ، غ (إلىٰ ما هو) بدل (أمر).

(٢) د ، ق (وبكل).

(٣) ق (ومنها).

(٤) (من) سقطت من ط.

(٥) د ، ق (صلىٰ الله عليه وسلم).

(٦) د ، غ (تبارك).

والحياة والموت ، والحر والبرد ، والحسن والقبيح ، والأرض والسماء[١] ، والماء والنار ، والخير والشر.

وذلك من[٢] أدل الدلائل علىٰ كمال قدرته وعزته ، وسلطانه وملكه ، فإنه خلق هذه المتضادات ، وقابل بعضها ببعض ، وسلَّط بعضها علىٰ بعض ، وجعلها محال[٣] تصرفه وتدبيره وحكمته ، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته ، وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

آثار أسماء الله تعالى

ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية ، مثل : «القهار[٤]، والمنتقم[٥]، والعدل[٦] ، والضار ، وشديد العقاب[٧] ، وسريع الحساب[٨] ، وذي البطش الشديد ،

---

(١) ط زيادة (والذكر والأنثىٰ).

(٢) (من) سقطت من ب ، أ.

(٣) ط (محل).

(٤) القهار : قال الله تعالىٰ : ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ [يوسف :٣٩].

(٥) المنتقم ، الضار ، الخافض : ما ورد من هذه مقيداً أو مضافاً فإنه لا يكون اسماً لمجرد هذا الورود مثل قوله تعالىٰ : ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ ، ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ، ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ ، ﴿سريع الحساب﴾ ، وإن أخذ من غيرها كما في قوله تعالىٰ : ﴿وهو الولي الحميد﴾ ، انظر : الفتاوىٰ ٨/ ١٩٦ ، معارج القبول للحكمي ١/ ٧٦ ، وانظر رسالة عبدالله الغصن «أسماء الله الحسنىٰ» ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٦) اسم العدل : ممن أثبته البيهقي ، وابن العربي ، وابن منده ، والوليد بن مسلم ، كما في رسالة الغصن ٣٣٤.

(٧) لم أجد لأحد قولاً في إثباته اسماً لله تعالىٰ.

(٨) ممن أثبته اسماً لله تعالىٰ : ابن منده ، والبيهقي كما في رسالة الغصن ٣٥٠.

والخافض[١] ، والمذل»[٢] فإن هذه الأسماء والأفعال كمال ، فلا بد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم علىٰ طبيعة المَلَك : لم يظهر أثر هذه الأسماء والأفعال.

ومنها : ظهور آثار[٣] أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ، ومغفرته وستره ، وتجاوزه عن حقه ، وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلقُ ما يكرهه[٤] من الأسباب المفضية إلىٰ ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد ، وقد أشار النبي إلىٰ هذا[٥] بقوله : «**لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم**

---

(١) غ ، ب (الخافظ).

(٢) ما ورد هنا من الإخبار فإنه لا يسمىٰ به الله تعالىٰ إذ الإخبار عنه أوسع باباً من الاسم ولا يلزم فيه التوقف ، فمن أنكر وجود الله فإنه يقال له موجود ، وذات .. كما في الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ٩/ ٣٠١ ، وابن القيم في بدائع الفوائد ١/ ١٦٢ ، ١٧٠ ، وأسماء الله تعالىٰ كلها حسنىٰ كاملة الحسن ، أما الخبر فلا يلزم أن يكون كامل الحسن مثل ذات وشيء وموجود ، قال ذلك شيخ الإسلام في الفتاوىٰ ٦/ ١٤٢ .

والأسماء يدعىٰ بها دون الأخبار ، فإنه لا يدعىٰ بها فيقال : يا حي ، يا قيوم ، ولا يقال يا ذات ، يا شيء . انظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ١/ ٢٩٧ ، ٤/ ١٤٠ ، مجموع الفتاوىٰ ٦/ ١٤٢ ، ٩/ ٣٠١ ، وانظر رسالة الشيخ عبدالله الغصن «أسماء الله الحسنىٰ» ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) (آثار) سقطت من ب.

(٤) ط (يكره).

(٥) (هذا) سقطت من ش.

يُذنبون فيستغفرون[١] الله[٢]، فيغفر لهم»[٣].

ومنها: ظهور آثار أسماء[٤] الحكمة والخبرة، فإنه[٥] «الحكيم الخبير[٦]» الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته، التي[٧] يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العقاب والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الثواب موضع العقاب، ولا العقاب موضع الثواب، ولا الخفض موضع الرفع، ولا الرفع موضع الخفض، ولا العز مكان الذل، ولا الذل مكان العز، ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه، ولا ينهىٰ عما ينبغي الأمر به[٨].

فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره علىٰ

---

(١) الأصل (ويستغفرون) المثبت من صحيح مسلم وبقية النسخ.

(٢) (لفظ الجلالة) سقط من ق.

(٣) مسلم. التوبة (٤/ ٢١٠٦) ح(٢٧٤٩)، أحمد (٢/ ٣٠٩)، الترمذي. صفة الجنة (٤/ ٦٧٢) ح(٢٥٢٦)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٢).

(٤) (أسماء) طمس من ح٢.

(٥) ق (سبحانه).

(٦) قال الله تعالىٰ: ﴿هو الله العزيز الحكيم﴾ [سبأ: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إنّ الله لطيف خبير﴾ [الحج: ٦٣].

(٧) د (الذي).

(٨) مفتاح دار السعادة ١/ ١٠، عدة الصابرين ٤١٦.

انتهائها إليه ووصوله ،[١] وأعلم بمن لا يصلح لذلك ولا يستأهله ، وأحكم من أن يمنعها أهلها ، و[٢]يضعها عند غير أهلها.

فلو قُدِّر عدم الأسباب المكروهة البغيضة له لتعطلت هذه الآثار ، ولم تظهر لخَلقه ولفاتت الحِكَم[٣] والمصالح المترتبة عليها ، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب.

فلو عُطِّلت تلك الأسباب - لما فيها من الشر - لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب ، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر والضرر ، فلو قدر تعطيلها - لئلا يحصل منها ذلك الشر الجُزئي - لتعطل من الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه.

فصـــل[٤]

ومنها : حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، ولكان الحاصل بعضها ، لا كلَّها.

فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه ، ولو كان الناس

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ووصولها).

(٢) ط زيادة (أن).

(٣) أ ، ب ، غ ، م (الحكمة).

(٤) (فصل) طمس من ح٢ ، أ.

كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها : من الموالاة فيه سبحانه ، والمعاداة فيه ، والحب فيه والبغض فيه ، وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوىٰ، وإيثار محاب الرب علىٰ محابِّ النفس.

ومنها[1] : عبودية[2] التوبة ، والرجوع إليه واستغفاره ، فإنه سبحانه يحب التوابين ، ويحب توبتهم ، فلو عُطلت الأسباب التي يُتاب منها لتعطلت عبودية التوبة والاستغفار منها.

ومنها : عبودية مخالفة عدوِّه ، ومراغمته في الله ، وإغاظته فيه ، وهي من أحب أنواع العبودية إليه ، فإنه سبحانه يحب من وليِّه أن يُغيظ عدوَّه ويراغمه ويسوءه ، وهذه عبودية لا يتفطن لها إلا الأكياس[3].

ومنها : أن يُتعبَّد له بالاستعاذة من عدوِّه ، وسؤاله أن يجيره منه ، ويعصمه من كيده وأذاه.

ومنها : أن عبيده يشتدُّ خوفهم وحذرهم إذا رأوا ما حلّ بعدوه بمخالفته ، وسقوطه من المرتبة الملكية إلىٰ المرتبة الشيطانية[4] ، فلا يُخلدون إلىٰ غرور

---

(١) ش (منها).

(٢) ق (عود).

(٣) الأكياس : (الكيْس) ضد الحمق ، مختار الصحاح ٥٨٥ ، لسان العرب ٦/ ٢٠١.

هل إبليس من الملائكة أم من الجن ؟

(٤) مسألة هل إبليس من الملائكة أم من الجن : نقل المفسرون أقوال الصحابة والعلماء من بعدهم فيها ، ومحصلة الأقوال : أن منهم من ذهب إلىٰ أنه من الجن مستنداً إلىٰ صراحة الآية

الأمل بعد ذلك.

ومنها : أنهم ينالون ثواب مخالفته ومعاداته ، الذي حصوله مشروط بالمعاداة والمخالفة ، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة علىٰ مخالفته.

ومنها : أن نفس اتخاذه عدواً من أكبر أنواع العبودية وأجلها ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر :٦] ، فاتخاذه عدواً[1] أنفع شيء للعبد ، وهو محبوب للرب.

ومنها : أن الطبيعة البشرية مُشْتملة علىٰ الخير والشر ، والطيب والخبيث ،

في ذلك وأن علة عدم سجوده هذا الوصف الذي به افترق عن الملائكة ، الذين امتثلوا الأمر فسجدوا ، وعلىٰ هذا جماعة من أهل العلم قالوا إنه كان يتعبد معهم فأطلق عليه ذلك ؛ لأنه تبع لهم ومن حجتهم أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم بنص القرآن ، وذهب جماعة من أهل العلم إلىٰ أنه ملك في الأصل ، واستدلوا لذلك بتكرار وروده في جملة الملائكة ، وقالوا بأن إخراجه بالاستثناء دليل علىٰ أنه منهم وأجاب هؤلاء علىٰ حجة أصحاب القول الأول بأن هناك قبيلة من الملائكة تسمىٰ (الجن) خلقوا من نار السموم وممن جزم بهذا القول : ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة ونقله الطبري والزمخشري وابن عطية والبغوي ، مؤيدين له ، وأشار إليه الشنقيطي في تفسيره وقال بخلافه مؤيداً من يرىٰ أنه من الجن لقوة حجتهم ، وهي نص الوحي في ذلك وصراحته ، وقد سبقه إلىٰ ذلك شيخ الإسلام حيث قال في آخر حديثه عنها (والتحقيق أنه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة) الفتاوىٰ ٤/ ٣٤٦ وانظر المسألة في تفسير الطبري ١/ ١٥٨ ، تفسير القرطبي (١/ ٢٩٥) ، درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٤٦ ، تفسير البغوي ١/ ٦٣ ، تفسير ابن عطية ٨/ ٣١٠ ـ ٣١١ ، أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ١٢١.

(١) أ ، غ ، ب (من).

وذلك كامن فيها كمون[١] النار في الزناد ، فَخُلِق الشيطان مستخْرجاً لما[٢] في طبائع أهل الشر من القوة إلىٰ الفعل ، وأرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلىٰ الفعل ، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في قوىٰ هؤلاء من الخير الكامن فيها ، ليترتب عليه [آثاره ، وما في قوىٰ أولئك من الشر ، ليترتب[٣] عليه[٤] آثاره ، وتظهر حكمته في الفريقين][٥] ، وينفذ حكمه فيهما ، ويظهر ما كان معلوماً له مطابقاً لعلمه السابق.

وهذا هو السؤال الذي سألته الملائكة حين قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٣٠] ، فظنت الملائكة أن وجود من يسبح بحمده ويطيعه ويعبده أولىٰ من وجود من يعصيه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والمصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة.

الحكمة من خلق ما لا يحبه ولا يرضاه

ومنها : أن ظهور كثير من آياته وعجائب صنعه : حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة[٦] الظالمة كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك

---

(١) ب (ككمون).

(٢) (لما) سقطت من د ، و (اللام) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ش.

(٣) أ ، ب (ليرتب).

(٤) ش (عليها).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من د.

(٦) ط (الكفارة).

ثمود وقوم لوط ، وآية انقلاب النار علىٰ إبراهيم برداً وسلاماً ، والآيات التي أجراها الله تعالىٰ علىٰ يد موسىٰ ، وغير ذلك من آياته التي يقول سبحانه عقيب ذكر كل آية منها[1] : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء :١٣٩- ١٤٠] ، فلولا كفر الكافرين ، وعناد الجاحدين ، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة ، التي يتحدث بها الناس جيلاً بعد جيل إلىٰ الأبد.

ومنها : أن خلق الأسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضاً ، ويكسر بعضها بعضاً : هو من شأن كمال الربوبية ، والقدرة النافذة ، والحكمة التامة ، والملك الكامل - وإن كان شأن الربوبية كاملاً في نفسه ، ولو لم يخلق[2] هذه الأسباب - لكن خلقها من لوازم كماله وملكه ، وقدرته وحكمته ، فظهور تأثيرها وأحكامها في عالم الشهادة : تحقيق لذلك الكمال ، وموجب من موجباته ، فتعمير مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطلق بجميع وجوهه وأقسامه وغاياته.

وبالجملة : فالعبودية والآيات والعجائب التي ترتبت علىٰ خلق ما لا يحبه ولا يرضاه وتقديره ومشيئته : أحب إليه[3] سبحانه وتعالىٰ من فواتها ، وتعطيلها بتعطيل أسبابها.

---

(١) ط زيادة (في سورة الشعراء).

(٢) م ، ح٢ (تخلق).

(٣) أ ، ب ، غ (إلىٰ الله).

فإن قلت : فهل كان يمكن وجود الحكم بدون هذه الأسباب؟.

قلت[١] : هذا[٢] سؤال باطل ، إذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه ، كفرض وجود الابن بدون الأب ، والحركة بدون المتحرك ، والتوبة دون التائب.

فإن قلت : فإذا[٣] كانت هذه الأسباب مرادة ، لما تفضي[٤] إليه من الحكم ، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه ، أم مسخوطة من جميع الوجوه؟.

قلت : هذا السؤال يُورد[٥] علىٰ وجهين :

أحدهما : من جهة الرب سبحانه وتعالىٰ ، وهل يكون محباً لها من جهة إفضائها إلىٰ محبوبه ، وإن كان يبغضها لذواتها[٦].

الثاني : من جهة العبد ، وهو أنه هل يسوغ له الرضىٰ بها من تلك الجهة أيضاً؟ فهذا سؤال له شأن.

فاعلم أن الشر كله يرجع إلىٰ العدم - أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه - وهو من هذه الجهة شر ، وأما من جهة وجوده المحض : فلا شرَّ فيه.

---

(١) (قلت) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (فهذا).

(٣) (فإن قلت فإذا) طمس من أ.

(٤) ق (يقضي).

(٥) ق (مورد).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (لذاتها).

مثاله : أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة ، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها ، فإنها[١] خلقت في الأصل[٢] متحركة لا تسكن ، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به[٣] وإن تُركت تحركت بطبعها[٤] إلىٰ خلافه ، وحركتها من حيث هي حركة خير ، وإنما تكون شراً بالإضافة ، لا من حيث هي حركة ، والشر كله ظلم ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً.

فعلم أن جهة الشر فيه : بمشيئة[٥] إضافية ، ولهذا كانت العقوبات ، الموضوعة[٦] في محالها خيراً في نفسها ، وإن كانت شراً بالنسبة إلىٰ المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة ، مستعدة له ، فصار ذلك الألم شراً بالنسبة إليها ، وهو خير بالنسبة إلىٰ الفاعل ، حيث[٧] وضعه موضعه، فإنه سبحانه لا يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه[٨]

---

(١) أ ، ب ، غ (به).

(٢) ب (فهي).

(٣) أ ، ب (في الخير) ، و (به) سقطت من ط.

(٤) د (تحركت).

(٥) الأصل ، ش (بمشيئة إضافة) ، م (نسبية بمشيئة) ، ط (نسبة إضافته) والأقرب ما أثبته من د ، ق.

(٦) ط (الموضوعات).

(٧) (حيث) سقط من ح٢.

(٨) ب (وجوه الاعتبارات).

والاعتبارات ، فإن حكمته تأبىٰ ذلك ؛ بل قد يكون ذلك المخلوق شراً ومفسدة ببعض الاعتبارات ، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر ، أرجح من اعتبارات مفاسده ؛ بل الواقع منحصر في ذلك ، فلا يمكن في جناب الحق - جلّ جلاله - أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه وبكل[1] اعتبار ، لا مصلحة في خلقه بوجه ما ، هذا من أبين المحال ، فإنه سبحانه بيده الخير ، والشر ليس إليه ؛ بل كل ما إليه فخير ، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه ، فلو كان إليه لم يكن شراً ، فتأمله ، فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيّره شراً.

فإن قلت : لم تنقطع نسبته إليه خلقاً ومشيئة؟.

قلت : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فإن وجوده هو المنسوب إليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه : من عدم إمداده بالخير وأسبابه ، والعدم ليس بشيء ، حتىٰ ينسب إلىٰ من بيده الخير.

فإن أردت مزيداً من إيضاح لذلك ، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة : الإيجاد والإعداد ، والإمداد فهذه هي الخيرات وأسبابها.

فإيجاد هذا[2] السبب خير ، وهو إلىٰ الله ، وإعداده خير ، وهو إليه أيضاً ، وإمداده خير ، وهو إليه[3].

---

(١) أ ، ب ، غ (بكل).

(٢) (هذا) سقطت من ط.

(٣) ط زيادة (أيضاً).

فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب[١] هذا العدم الذي ليس إلىٰ الفاعل ، وإنما إليه ضده.

فإن قلت : فهلا أمدّه إذ أوجده؟.

قلت[٢] : ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده ، فإنه - سبحانه - يُوجده ، ويمدُّه ، وما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده : أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته ، فإيجاده خير ، والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قلت : فهلا أمَدّ الموجودات كلها؟.

قلت : هذا سؤال فاسد يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة ، وهذا عين الجهل ؛ بل الحكمة كل الحكمة : في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها[٣] ، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت ، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت ، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية ، لم يتعلق بها الخلق ، وإلا فليس في الخلق من تفاوت.

فإن اعتاص[٤] ذلك عليك ، ولم تفهمه حق الفهم ، فراجع قول القائل :

---

(١) م (لسبب).

(٢) (قلت) سقطت من م ، د ، ب ، ش ، ق.

(٣) أ ، ب (بينهما).

(٤) ق (اعتاض).

إذا لم تستطع شيئاً فدعــه[١] وجــاوزه إلىٰ ما تستطيــع[٢]

كما ذكر : أن الأصمعي اجتمع بالخليل[٣] ، وحرص علىٰ فهم العروض منه[٤] : فأعياه ذلك فقال له الخليل يوماً : قطِّع لي هذا البيت ، وأنشده : «إذا لم تستطع[٥].. البيت» ففهم ما أراد ، فأمسك عنه ولم يشتغل به.

وسر المسألة : أن الرضىٰ بالله يستلزم الرضىٰ بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه ، ولا يستلزم الرضىٰ بمفعولاته كلها ؛ بل حقيقة العبودية : أن يوافقه عبده في رضاه وسخطه ، فيرضىٰ منها بما رضي[٦] به ، ويسخط منها ما سخطه.

فإن قيل : فهو سُبحانه يرضىٰ عقوبة من يستحق العقوبة ، فكيف[٧] يمكن العبد أن يرضىٰ بعقوبته له؟.

قيل : لو وافقه في رضاه بعقوبته لانقلبت لذة وسروراً ، ولكن لا يقع منه[٨] ذلك.

---

(١) ط (دعه).

(٢) بيت الشعر : ـ القائل : عمرو بن معد يكرب ، البداية والنهاية (٧/ ١٦٠) (١٠/ ١٦١) ، الإصابة (٤/ ٢٩٢) ، الشقائق النعمانية لطاش كبرىٰ زاده (٢/ ٢٤٠).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب زيادة (ابن أحمد).

(٤) (منه) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٥) د زيادة (شيئاً فدعه) ، ط (شيئاً).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (يرضىٰ).

(٧) ب زيادة (بمن).

(٨) (منه) سقطت من أ ، ب ، غ.

فإن لم يوافقه في محبته وطاعته ، التي هي سرور النفس ، وقرة العين ، وحياة القلب ، فكيف يوافقه في محبته للعقوبة ، التي هي أكره شيء إليه ، وأشق شيء[1] عليه؟ بل كان كارهاً لما يحبه من طاعته وتوحيده ، فلا يكون راضياً بما يختاره من عقوبته ، ولو فعل[2] ذلك لارتفعت عنه العقوبة.

فإن قلت : فكيف يجتمع الرضىٰ بالقضاء الذي يكرهه العبد - من المرض والفقر والألم - مع كراهته؟.

قلت : لا تنافي في ذلك ، فإنه يرضىٰ به من جهة إفضائه إلىٰ ما يحب ، ويكرهه من جهة تألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم أن فيه شفاءه ، فإنه يجتمع فيه رضاه به ، وكراهته له.

فإن قلت : كيف يرضىٰ لعبده شيئاً ولا يعينه عليه؟.

قلت : لأن إعانته عليه تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة ، بحيث يكون وقوعها منه مستلزماً لمفسدة راجحة ، ومفوتاً لمصلحة راجحة ، وقد أشار الله تعالىٰ إلىٰ ذلك في قوله : ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا

(١) د (وأشقه عليه).

(٢) ط (قبل) بدل (فعل).

خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة :٤٦ - ٤٧] ، فأخبر سبحانه : أنه كره انبعاثهم مع رسوله[١] للغزو ، وهو طاعة وقربة ، وقد أمرهم به، فلما كرهه منهم ثبَّطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي كانت تترتب[٢] علىٰ خروجهم لو خرجوا مع رسوله[٣] ﷺ ، فقال : ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي فساداً[٤] وشراً ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي سعوا فيما بينكم بالفساد والشر ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي قابلون منهم مستجيبون لهم ، فتولّد من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول أولئك منهم من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم فاقتضت الحكمة والرحمة : أنْ مَنَعَهُم من الخروج ، وأقْعدَهم عنه.

فاجعل هذا المثال أصلاً لهذا الباب ، وقِسْ عليه.

فإن قلت : قد تصور[٥] لي هذا[٦] في رضىٰ الرب تعالىٰ لبعض ما يخلقه من وجه وكراهته من وجه آخر[٧] ، فكيف لي بأن يجتمع الأمران في حقي بالنسبة إلىٰ المعاصي والفسوق؟.

---

(١) أ ، ب ، غ (رسول الله).

(٢) ط (سترتب).

(٣) ط (رسول الله).

(٤) (فساداً) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٥) ط (يتصور).

(٦) (هذا) سقطت من د.

(٧) (آخر) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

قلت : هو متصوَّر ممكن ؛ بل واقع ، فإن العبد يسخط ذلك ويبغضه ، ويكرهه من حيث هو[١] فعل له ، [٢] وواقع[٣] بكسبه[٤] وإرادته ، واختياره ، ويرضىٰ بعلم الله وكتابته ومشيئته ، وإذنه الكوني[٥] ، فيرضىٰ بما من الله ، ويسخط ما هو منه ، فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان.

وطائفة أخرىٰ رأوا كراهة ذلك مطلقاً ، وعدم الرضىٰ به[٦] من كل وجه.

وهؤلاء في الحقيقة لا يخالفون أولئك ، فإن العبد إذا كرهها مطلقاً ، فإن الكراهة إنما تقع علىٰ الاعتبار المكروه منها ، وهؤلاء لم يكرهوا علم الرب وكتابته ومشيئته ، وإلزامه[٧] حكمه[٨] الكوني ، وأولئك لم يرضوا بها من الوجه الذي سخطها[٩] الرب وأبغضها لأجله.

وَسِرُّ المسألة : أن الذي إلىٰ الرب منها غير مكروه ، والذي إلىٰ العبد منها

---

(١) (هو) سقطت من د.

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب زيادة (سببه) ، ط (بسببه).

(٣) ق (واقع).

(٤) (بكسبه) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب زيادة (فيه).

(٦) (به) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٧) ش (والتزامه).

(٨) ق (وحكمه) بزيادة (الواو).

(٩) ش ، ح٢ (يسخطها).

هو المكروه والمسخوط[١][٢].

فإن قلت : ليس إلىٰ العبد شيء منها؟.

قلت : هذا هو الجبر الباطل ، الذي لا يمكن صاحبه التخلُّص من هذا المقام[٣] الضيِّق ، والقدريُّ أقرب إلىٰ التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية : هم أَسْعدُ بالتخلُّصِ منه من الفريقين.

أثر شهود الحقيقة الكونية على معتقد الصوفية في القدر

فإن قلت : فكيف[٤] يتأتَّىٰ النّدمُ والتوبةُ ، مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟.

قلت : هذا هو[٥] الذي أوقع من عَمِيت بصيرته في شهود الأمر علىٰ خلاف ما هو عليه ، فرأىٰ تلك الأفعال طاعات ، لموافقته فيها المشيئة والقدر ، وقال

---

(١) د (المسخوط) بدون (واو).

(٢) قال شيخ الإسلام : «.. وقالت طائفة ترضىٰ من جهة كونها مضافة إلىٰ الله خلقاً ، وتسخط من جهة كونها مضافة إلىٰ العبد فعلاً وكسباً.. إلىٰ أن قال: وهو سبحانه إنما قدر الأشياء لحكمة، فهي باعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة مسخوطة..» الفتاوىٰ ١٠/ ٤٢.

(٣) أ ، ب ، غ (المكان).

(٤) أ ، ب ، غ ، ش (كيف).

(٥) (هو) سقطت من أ ، ب ، غ.

إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته في ذلك[١] ، قيل[٢] :

أصبحتُ منفعلاً لما تختارُه ... منِّي ففعلـــي كلُّه طاعـــات[٣]

وهؤلاء أعمىٰ الخلق بصائر ، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية ، فإن الطاعة هي موافقة الأمر ، لا موافقة القدر والمشيئة ، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله لكان إبليس من أعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وقوم فرعون كلهم مُطيعين له[٤] ، فيكون قد عذبهم أشد العذاب علىٰ طاعته ، وانتقم منهم لأجلها ، وهذا غاية الجهل بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) وهذا هو قول غلاة الصوفية ، قال شيخ الإسلام في معرض الرد علىٰ من شهد الحقيقة الكونية : « وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلىٰ أن لا يفرقوا بين المحظور والمأمور ، وأولياء الله وأعداء الله ، والأنبياء والمتقين ، ويجعلون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، ويجعلون المتقين كالفجار ، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ، ويعطلون الأمر والنهي والوعد والوعيد والشرائع.. » الاستقامة ٢/ ٧٨ ، وقال أيضاً : « .. وهذا الموضع وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع فقد وقع في كثير من دقه كثير من المشايخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهىٰ عنه ، ويجعل ذلك من التفويض والتوكل والجري مع الحقيقة القدرية ـ إلىٰ قوله ـ حتىٰ يفضي الأمر بغلاتهم إلىٰ عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوي الإلهي الفرقاني الشرعي.. وبين ما يكون في الوجود من الأحوال التي علىٰ أيدي الكفار والفجار.. » الفتاوىٰ ١٠/ ٢٧ ـ ٢٨ ، ٣٤.

(٢) ح٢ ، م (كما قيل) و ط (وقيل).

(٣) بيت الشعر : لم أجده ، وانظر تعليق شيخ الإسلام علىٰ هذا البيت وما وقع فيه بعض الصوفية من الاشتباه ، الفتاوىٰ (١١/ ٢٤٥).

(٤) (له) سقطت من أ ، ب ، غ.

فإن قلت : ومع ذلك ، فاجمع لي بين الندم والتوبة ، وبين مشهد القيومية والحكمة؟.

قلت : العبد إذا شهد عجز نفسه ، ونفوذ الأقدار فيه ، وكمال فقره إلىٰ ربه ، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين كان بالله في هذه الحال ، لا بنفسه ، فوقوع الذنب منه لا يتأتىٰ في هذه الحال البتة ، فإن عليه حصناً حصيناً من : « **فبي يسمع ، وبي يُبصر ، وبي يبْطش ، وبي يمشي** »[1] ، فلا يُتصور منه الذنب في هذه الحال ، فإذا حُجب عن هذا المشهد ، وسقط إلىٰ وجوده الطبعي ، وبقي بنفسه[2] : استولىٰ عليه حكم النفس والطبع والهوىٰ ، وهذا الوجود الطبعي[3] قد نُصبت فيه الشباك والأشراك ، وأرسلت عليه الصيادون ،

---

(١) لهذا الكلام صلة بحديث الولي المشهور ، الذي أخرجه البخاري في الرقاق (٤/ ١٩٢) ح(٦٥٠٢) ، وفي سنده خالد بن مخلد القطواني شيخ البخاري وقد تُكُلّم فيه ، انظر في ذلك ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٦٤١) ، فتح الباري (١١/ ٣٤٤ ، ٤١٥) ، والألباني كما سيأتي ، أما اللفظ الموجود هنا « فبي يسمع.. » فقد جمع فيه الألباني كلاماً طويلاً خلاصته ، أما سياق الحديث بلفظ « فبي يسمع وبي يبصر.. » فقد أورده شيخ الإسلام في عدة أماكن من الفتاوىٰ (٥/ ٥١١ ، ١٠/ ٥٨ ، ١١/ ٧٥ ـ ٧٦ ، ١٧/ ١٣٣ ـ ١٣٤) من رواية البخاري بزيادة « فبي يسمع.. » ولم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين وقد ذكرها الحافظ أثناء شرحه للحديث نقلاً عن الطوفي ولم يعزها لأحد ، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٨٣ ـ ١٩١) ، وقد ذكرها ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٨٠).

(٢) ح٢ ، م (نفسه).

(٣) الأصل (الطبيعي) وما أثبته من ش وهو الصحيح.

فلا بد أن يقع في شبكة من تلك الشباك[١]، وهذا الوجود هو حجاب بينه وبين ربه[٢]. فيقع الحجاب، ويقوىٰ المقتضىٰ، ويضعف المانع، وتشتد الظلمة، وتضعف القوىٰ، فأنىٰ له بالخلاص من تلك الأشراك والشباك؟ فإذا انقشع ضباب ذلك الوجود الطبعي، وانجاب[٣] ظلامه، وزال قَتامه، وصرت بربك ذاهباً عن نفسك وطبعك.

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامُه ... ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامُه
فإن غِبْتَ عنه حلّ فيه وَطَنَّبت ... علىٰ منكب الكشف المصون خيامُه
فأنت حجاب القلب عن سرِّ غيبه ... ولولاك لم يُطبع عليه ختامُه
وجاء حديثٌ لا يُملّ سماعُه ... شهيٌّ إلينا نثرُه ونظامُه
إذا ذَكَرتْه النفسُ زَالَ عَنَاؤُها ... وزَالَ عن القلب المُعَنَّىٰ قتامُه[٤]

فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة، فإنه كان في المعصية بنفسه، محجوباً فيها عن ربه، وعن طاعته، فلما فارق ذلك الوجود وصار في وجود آخر: بقي بربه لا بنفسه.

وإذا عرف هذا، فالتوبة والندم يكونان[٥] في هذا الوجود الذي هو فيه بربه

---

(١) م، أ، غ، ح٢، ب، د (وشرك من تلك الأشراك)، و ق (أو شرك..).

(٢) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق زيادة (فعند ذلك يقع).

(٣) انجاب: من جاب الشيء جوباً (خرقه) وجاب الصخرة: نقبها، لسان العرب ١/ ٢٨٥.

(٤) أبيات الشعر: ذكره أبو طريف الشيبي في الشعر المنسوب للحلاج ١٠٣، وبهامشه نسبه لابن العريف الصنهاجي المتوفىٰ سنة ٥٣٦هـ، انظر ١٠٤ من الكتاب نفسه.

(٥) الأصل (يكون)، ق (تكون) والأقرب ما أثبته من ب، ط.

وذلك لا ينافي مشهد الحكمة والقيومية، بل يجامعه ويستمد منه، وبالله التوفيق.

قوله: «وَيَصِحُّ بِثَلَاثَةِ شَرَائِط: بِاسْتِوَاءِ الحَالَاتِ عِندَ العَبْدِ[1]، وَسُقُوطِ الخُصُومَةِ مَع الخَلْقِ، وَبِالخَلَاصِ[2] مِن المَسْأَلَةِ وَالإِلحاحِ»[3].

يعني: أن الرضىٰ عن الله إنما يتحقق بهذه الأمور الثلاثة[4]، فإن الراضي[5] الموافق يستوي[6] عنده الحالات - من النعمة والبلية - في رضاه بحسن اختيار الله له[7].

[وليس المراد استواءها عنده في ملاءمته ومنافرته، فإن هذا خلاف الطبع البشري، بل خلاف الطبع الحيواني][8].

الفرق بين استواء النعمة والبلية وبين استواء الطاعة والمعصية

وليس المراد أيضاً استواء الحالات عنده في الطاعة والمعصية، فإن هذا مناف للعبودية من كل وجه، وإنما تستوي النعمة والبلية عنده في الرضىٰ بهما لوجوه:

---

(١) ش (العجز) وبهامشها (والقدرة).

(٢) ط (الخلاص).

(٣) منازل السائرين (٤٠).

(٤) (أ، غ، ب) سقطت من ش.

(٥) ق (الرضىٰ).

(٦) ق، ط (تستوي).

(٧) (له) سقطت من ح٢.

(٨) ما بين المعقوفين سقط من ش.

أحدها : أنه مفوض ، والمفوض راض بكل ما اختاره له [من فوض إليه ، ولا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته ، ولطفه وحسن اختياره له][1].

الثاني : أنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا راد لحكمه ، وأنه ما شاء الله[2] كان وما لم يشأ لم يكن ، فهو[3] يعلم أن كُلاً من البلية والنعمة سابق ، وقدر حتم.

الثالث : أنه عبد محض ، والعبد المحض لا يسخط[4] جريان أحكام سيده المشفق البار الناصح المحسن ، بل يتلقاها[5] كلها بالرضىٰ به وعنه.

الرابع : أنه محب ، والمحب الصادق : من رضي بما يعامله به حبيبه.

الخامس : أنه جاهل بعواقب الأمور ، وسيده أعلم بمصلحته وما[6] ينفعه.

السادس : أنه لا يريد مصلحته[7] من كل وجه ، ولو عرف أسبابها ، فهو جاهل ظالم ، وربه تعالىٰ يريد مصلحته ، ويسوق إليه أسبابها[8] ، ومن أعظم

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من د.

(٢) (لفظ الجلالة) سقط من ش.

(٣) (فهو) سقط من ق.

(٤) م ، ش ، ح٢ ، د (يتسخط) وفي ب (يسخطه).

(٥) ق (تلقاها).

(٦) ط (بما).

(٧) ط (مصلحة نفسه).

(٨) ش (أسبابه).

أسبابها : ما يكرهه العبد ، فإن مصلحته فيما يكره[١] أضعاف[٢] مصلحته فيما يحب ، قال[٣] تعالىٰ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٢١٦] وقال تعالىٰ : ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء :١٩].

السابع : أنه مسلم ، والمسلم من قد سلَّم نفسه لله ، ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه[٤] ، ولم يتسخط[٥] بذلك[٦].

الثامن : أنه عارفٌ بربه ، حسن الظن به ، لا يتهمه فيما يُجريه عليه من أقضيته وأقداره ، فحُسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده ، ورضاه بما يختاره له سيده[٧].

التاسع : أنه[٨] يعلم أن حظَّه من المقدور[٩] ما يتلقَّاه به من رضي أو سخط[١٠] ،

---

(١) (فيما يكره) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٢) أ ، ب ، غ ، ش ، ق (أضعاف) مكررة.

(٣) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٤) (عليه) سقطت من أ ، ب ، غ ، ش.

(٥) ط (يسخط).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ذلك).

(٧) ط زيادة (سبحانه).

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (أن).

(٩) ق (بالمقدور).

(١٠) ط (وسخط).

فلا بُدّ له منه ، فإن رضي فله الرضىٰ ، وإن سخط فله السخط[١].

العاشر : علمه بأنه إذا رضي به[٢] انقلب في حقه نعمة ومنحة ، وخفّ عليه حمله ، وأعين عليه ، وإذا سخطه[٣] تضاعف عليه ثقله وكَلُّه[٤] ، ولم يزدد إلا شدة ، فلو أن السخط يُجدي عليه شيئاً لكان له فيه راحة فلا[٥] أنفع له من الرضىٰ به.

ونكتة المسألة : إيمانه بأن قضاء الرب تعالىٰ خير له ، كما قال النبي : **«والذي نفسي بيده ، لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن»**[٦].

الحادي عشر : أن يعلم أن تمام عبوديته في جريان ما يكرهه من الأحكام

---

(١) فيه إشارة إلىٰ الحديث : « **إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم..** » ، أخرجه أحمد من حديث محمود ابن لبيد (٥/ ٤٢٧) ، الترمذي. الزهد من حديث أنس (٤/ ٦٠١) ح(٢٣٩٦) ، وقال حسن غريب ، ابن ماجه. الفتن (٢/ ٣٨٨) ح(٤٠٣١) ، وقال حسن غريب ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩١) ، رواه أحمد ورجاله ثقات وحديث أنس فيه ابن لهيعة وفيه كلام.

(٢) (به) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٣) غ ، ش ، ح٢ (سخط).

(٤) **كَلُّه** : - **الكَلُّ** : المصيبة تحدث والأصل : من كلَّ عنه أي نبا وضعف. لسان العرب ١١/ ٥٩٢.

(٥) (فلا) سقطت من ط.

(٦) الحديث : سبق ص١٨٤٢.

عليه[١] ، ولو لم يجر عليه منها إلا ما يحب لكان أبعد شيء عن عبوديته ربه ، فلا تتم له عبوديته - من الصبر ، والتوكل ، والرضىٰ ، والتضرع ، والافتقار والذل ، والخضوع ، وغيرها - إلا بجريان القدر له بما يكرهه ، وليس الشأن[٢] في الرضىٰ بالقضاء [الملائم للطبيعة ، إنما الشأن في الرضىٰ[٣] بالقضاء[٤]][٥] المؤلم المنافر للطبع[٦].

الثاني عشر : أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه وتعالىٰ في جميع الحالات يثمر له[٧] رضىٰ ربه عنه[٨] ، فإذا رضي عنه بالقليل[٩] من الرزق : رضي الله[١٠] عنه بالقليل من العمل ، وإذا رضي عنه في جميع الحالات ، واستوت عنده ، وجده أسرع شيء إلىٰ رضاه إذا ترضّاه و تملَّقه[١١].

---

(١) (عليه) سقط من ش.

(٢) ب زيادة (إلا).

(٣) (في الرضىٰ) سقطت من ط.

(٤) ط (في القضاء).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ .

(٦) ح٢ (للطبيعة).

(٧) (له) سقطت من ط.

(٨) (عنه) سقطت من م.

(٩) الأصل (بالقليل عنه) والأقرب ما أثبته من ق ، ط.

(١٠) (لفظ الجلالة) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش ، وفي ش ، ط (ربه).

(١١) تملَّقه : - الملق : الود واللطف الشديد ، وأصله التليين ، والترفق والمداراة وهو تودد فوق ما ينبغي ، لسان العرب ١٠/ ٣٤٧.

الثالث عشر : أن أعظم راحته ، وسروره ونعيمه : في الرضىٰ عن ربه[١] في جميع الحالات ، فإن الرضىٰ باب الله الأعظم ، ومستراح العارفين ، وجنة الدنيا ، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد[٢] رغبته فيه ، [٣]لا يستبدل بغيره منه.

الرابع عشر: أن السخط باب الهمِّ والغمِّ والحَزَن وشتات القلب وكسْف[٤][٥] البال ، وسوء الحال والوسواس[٦] ، والظن خلاف ما هو أهله ، والرضىٰ يخلِّصه من ذلك كله ، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

الخامس عشر : أن الرضىٰ يوجب له الطمأنينة ، وبَرد القلب ، وسكونه وقراره ، والسخط يوجب[٧] اضطراب قلبه ، وريبه[٨] وانزعاجه ، وعدم قراره[٩].

السادس عشر : أن الرضىٰ يُنزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها ، ومتىٰ نزلت عليه السكينة : استقام ، وصلحت أحواله ، وصلح باله ، والسخط ، يبعده منها

---

(١) د ، ط (تعالىٰ وتقدس).

(٢) الأصل (يشتد) والأقرب ما أثبته من بقية النسخ و ط.

(٣) ط زيادة (وأن).

(٤) ش (كشف).

(٥) كسف : يقال رجل كاسف الوجه : عابسه من سوء الحال ، وهو الصفرة والتغير ، ورجل كاسف مهموم/ لسان العرب ٩/ ٢٩٩.

(٦) (الوسواس) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

(٧) ش زيادة (له).

(٨) أ ، ب ، غ ، ط (ريبته).

(٩) غ (إقراره).

بحسب قلته وكثرته ، وإذا ترحَّلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة[١] ، وطيب العيش ، فمن أعظم نعم الله علىٰ عبده: تنزيل[٢] السكينة عليه، ومن أعظم أسبابها : الرِّضىٰ عنه في جميع الحالات.

السابع عشر : أنَّ الرضىٰ يفتح له باب السلامة ، فيجعل قلبه سليماً نقياً من الغش والدَّغل[٣] والغلِّ[٤] : ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتىٰ الله بقلب سليم ، [٥] وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضىٰ ، وكلَّما كان[٦] أشد رضىٰ كان قلبه أسلم ، فالخبث والدغل والغش : قرين السخط ، وسلامة القلب وبِرّه[٧] ونصحه : قرين الرضىٰ ، وكذلك الحسد[٨] : هو من ثمرات السخط ، وسلامة القلب من ثمرات الرضىٰ.

الثامن عشر : أن السخط يوجب تلّون العبد ، وعدم ثباته مع الله ، فإنه لا يرضىٰ إلا بما يلائم طبعه ونفسه ، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وبما لا

---

(١) الدّعة : الخفض في العيش والراحة . لسان العرب ٨/ ٣٨١.

(٢) ط (تنزل).

(٣) الدّغل : الفساد مثل الدّخل . لسان العرب ٨/ ٣٨١.

(٤) الغِلّ : الغش والحقد . مختار الصحاح ٤٧٩.

(٥) ط زيادة (كذلك).

(٦) ط زيادة (العبد).

(٧) أ ، ب ، غ (برده).

(٨) أ ، ب ، غ (الخبث).

يلائمه ، وكلما جرىٰ عليه منها ما لا يلائمه سخطه[١] ، فلا تثبت له علىٰ العبودية قدم[٢] فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات ، استقرت قدمه في مقام العبودية ، فلا يزيل التلون عن العبد شيء مثل الرضىٰ.

التاسع عشر : أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله ، وقضائه وقدره[٣] ، وحكمته وعلمه ، فقلَّ أن يسلم[٤] الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل[٥] فيه ، وإن كان لا يشعر به ، فلو فتش[٦] غاية التفتيش لوجد يقينه معلولاً[٧] مدخولاً ، فإن الرضىٰ واليقين أخوان مصطحبان ، والشك والسخط قرينان ، وهذا معنىٰ الحديث الذي في الترمذي - أو غيره[٨] «إن استطعت أن تعمل بالرضىٰ مع اليقين[٩] فافعل، فإن لم تستطع فإن في[١٠] الصبر علىٰ ما تكره النفس خيراً كثيراً» [١١].

---

(١) ط (أسخطه).

(٢) ش ، ط (قدم علىٰ العبودية).

(٣) (وقدره) سقط من أ ، ب.

(٤) الأصل (سلم) والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٥) م (يتعلل).

(٦) ط زيادة (نفسه).

(٧) ح٢ (معولاً).

(٨) غ ، ش (وغيره).

(٩) (مع اليقين) سقطت من غ.

(١٠) (في) سقطت من د.

(١١) تقدم تخريجه ص١٨١٦.

العشرون[١] : أن الرضىٰ بالمقدور من سعادة ابن آدم ، وسخطه من شقاوته ، كما في المسند والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من سعادة ابن آدم : استخارة الله عزّ وجلّ ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضىٰ الله ، ومن شِقوة ابن آدم : سخطه بما قضىٰ الله عز وجل**[٢] **ومن شقاوة ابن آدم**[٣] **ترك استخارة الله**»[٤]. فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة ، والتسخط[٥] علىٰ القضاء من أسباب الشقاوة.

الحادي والعشرون : أن الرضىٰ يوجب له أن لا يأسىٰ علىٰ ما فاته ، ولا يفرح بما آتاه ، وذلك من أفضل خصال[٦] الإيمان.

أما عدم أساه[٧] علىٰ الفائت : فظاهر ، وأما عدم فرحه بما آتاه[٨] : فلأنه يعلم

---

(١) (العشرون) طمس من أ.

(٢) (عزّ وجلّ) سقطت من ط.

(٣) ق (سخطه بما قضىٰ الله ، ومن شقاوة ابن آدم استخارة الله) وهذا خلط فاسد.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١٦٨) ، الترمذي. القدر (٤/ ٤٥٥) ح(٢١٥١) ، وقال حسن غريب ، الحاكم في المستدرك (١/ ٥١٨) وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه صاحب فيض القدير (٦/ ١٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩) ، بعض رواته ليس بالقوي ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢١٩) ، وله طريق آخر عند ابن حبان رقم(٤٠٣٢) ، وفي الباب عن نافع بن الحارث رواه أحمد (٣/ ٤٠٧).

(٥) م (والسخط).

(٦) (خصال) سقطت من ط.

(٧) غ (أساءة).

(٨) (آتاه) سقطت من د.

أن المصيبة فيه مكتوبة من قبل حصوله ، فكيف يفرح بشيء يعلم أن له فيه مصيبة منتظرة[١] ولا بدّ؟.

الثاني والعشرون : أن من ملأ قلبه من الرضىٰ بالقدر : ملأ الله صدره غنىٰ وأمناً وقناعة ، وفَرَّغ قلبه لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، ومن فاته حظُّه من الرضىٰ امتلأ قلبُه بضد ذلك ، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه.

فالرضىٰ يفرغ القلب لله ، والسخط يفرغ[٢] القلب من الله.

الثالث والعشرون : أن الرضىٰ يثمر الشكر ، الذي هو من أعلىٰ مقامات الإيمان ؛ بل هو حقيقة الإيمان ، والسخط يثمر ضده ، وهو كفر النعم ، وربما أثمر له كفر المنعم ، فإذا رضي[٣] عن ربه في جميع الحالات : أوجب له ذلك شكره ، فيكون من الراضين الشاكرين ، وإذا فاته الرضىٰ : كان من الساخطين ، وسلك سبيل الكافرين.

الرابع والعشرون : أن الرضىٰ ينفي عنه آفات الحرص والكَلَب[٤] علىٰ الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة ، وأصل كل بلية ، وأساس كل رزية ، فرِضاه عن ربِّه في جميع الحالات ينفي عنه[٥] هذه الآفات.

---

(١) ح٢ ، م زيادة (فيتظرها).

(٢) (يفرغ) سقطت من د.

(٣) ط زيادة (العبد).

(٤) الكَلَبْ : من التكالب : أي يتواثبون عليه ، والحرص ، حتىٰ كأنهم كلاب من شدة حرصهم ، لسان العرب ١/ ٧٢٤.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د زيادة (مادة).

الخامس والعشرون : أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان[١] غالباً عند السخط والشهوة ، فهناك يصطاده ، ولا سيما إذا استحكم سخطه ، فإنه يقول ما لا يرضي الرب ، ويفعل ما لا يرضيه ، وينوي ما لا يرضيه ، ولهذا قال النبي عند موت ابنه إبراهيم : «**يحزن القلب وتدمع العين ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب**»[٢] ، فإن موت البنين من العوارض التي توجب للعبد التسخط[٣] علىٰ القدر ، فأخبر النبي : أنه لا يقول في مثل هذا المقام - الذي[٤] يسخطه[٥] أكثر الناس ، فيتكلمون بما لا يرضي الله ، ويفعلون ما لا يرضيه[٦] - إلا ما يرضىٰ ربه تبارك وتعالىٰ، ولهذا لما مات ابنُ الفضيل بن عياض رُئي في الجنازة ضاحكاً، فقيل له : أتضحك[٧] وقد مات ابنك؟ فقال : إن الله قضىٰ بقضاء فأحببت أن أرضىٰ بقضائه [٨].

---

(١) (الإنسان) سقطت من م.

(٢) البخاري. الجنائز (١/ ٤٠١) ح(١٣٠٣) ، مسلم. الفضائل (٤/ ١٨٠٧) ح(٢٣١٥) ، أحمد (٣/ ١٩٤) ، أبو داود. الجنائز (٣/ ٤٩٣) ح(٣١٢٦).

(٣) أ ، ب ، س ، ط (السخط).

(٤) (الذي) سقطت من د.

(٥) (يسخطه) سقطت من أ ، ب ، غ ، م.

(٦) د (يرضاه).

(٧) غ (تضحك).

(٨) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠ ، الرسالة القشيرية ٤٠ ، وذكره شيخ الإسلام وعلق عليه بقوله : «حاله حال حسن بالنسبة إلىٰ أهل الجزع وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالىٰ كحال النبي ﷺ فهذا أكمل ، كما قال تعالىٰ : ﴿**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر**

فأنكرت طائفة هذا[١] علىٰ الفضيل ، وقالوا : رسول الله ﷺ قد[٢] بكىٰ يوم موت[٣] ابنه ، وأخبر أن «**القلب يحزن ، والعين تدمع**» ، وهو في أعلىٰ مقامات الرضىٰ ، فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟.

اتساع قلب الرسول ﷺ لتكميل المراتب

والتحقيق : أن قلب رسول الله ﷺ اتَّسع لتكميل[٤] المراتب ، من الرضىٰ عن الله ، والبكاء رحمة للصبي ، فكان له مقام الرضىٰ ، ومقام الرحمة ورقة القلب ، والفضيل لم يتسع [لذلك فغيَّبه مقام الرضىٰ عن مقام الرحمة][٥] فلم يجتمع له الأمران[٦] ، والناس في ذلك علىٰ أربع مراتب.

الرضى بالمقدور والرحمة بالصغير

أحدها : من اجتمع له الرضىٰ بالقضاء ورحمة الطفل ، فدمعت عيناه رحمة[٧] ، [٨] والقلب راض.

وتواصوا بالمرحمة﴾ فذكر سبحانه التواصي بالصبر وبالمرحمة» ، الفتاوىٰ ١٠/ ٤٧ ، فالبكاء علىٰ الميت إذا لم يقترن به ما يكرهه الله وإنما علىٰ وجه الرحمة فهو مستحب ، انظر المصدر السابق والتحفة العراقية ٣٧٠.

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (هذه المقالة).

(٢) (قد) سقطت من ط.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط (مات).

(٤) ط زيادة (جميع).

(٥) ط (قلبه لمقام الرضىٰ ومقام الرحمة) ، وسقط (لذلك فغيّبه) من أ ، ب ، غ.

(٦) انظر الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ١٠/ ٤٧.

(٧) (رحمة) سقطت من أ ، ب.

(٨) ق زيادة (بالطفل).

الثاني : من غيَّبه الرِّضىٰ عن الرحمة فلم يتسع للأمرين[١].

الثالث : من غيّبته الرحمة والرِّقة[٢] عن الرضىٰ فلم يشهده[٣].

الرابع : من لا رضىٰ عنده ولا رحمة ، وإنما كان[٤] حزنه لفوات حظه من الميت ، وهذا حال أكثر الخلق ، فلا إحسان ، ولا رضىٰ عن الرحمن ، والله المستعان[٥][٦].

السادس[٧] **والعشرون** : أن الرضىٰ هو اختيار ما اختاره الله لعبده ، والسخط كراهة ما اختاره الله[٨] ، وهذا نوع محادة ، فلا يتخلص منه إلا بالرضىٰ عن الله في جميع الحالات.

السابع والعشرون: أن الرضىٰ يخرج الهوىٰ من القلب، فالراضي[٩] تبع لمراد

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (بل غيبه أحدهما عن الآخر).

(٢) ب (الرأفة).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (بل فنىٰ عن الرضىٰ).

(٤) ط (يكون).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (فالأولىٰ في أعلىٰ مراتب الرضىٰ ، والثاني دونه والثالث دون الثاني والرابع).

(٦) في الفتاوىٰ تقسيم آخر خلاصته : صبر بقسوة ، رحمة بجزع ، قسوة بجزع ، صبر برحمة وهو أكملها ١٠/ ٤٧.

(٧) (السادس) طمس من أ.

(٨) ط زيادة (له).

(٩) أ ، ب ، غ زيادة (هواه).

ربه منه ، أعني الذي يحبه[١] ويرضاه ، فلا يجتمع الرضىٰ واتباع الهوىٰ في قلب[٢] أبداً ، وإن كان معه شعبة من هذا وشعبة من هذا ، فهو للغالب عليه منهما.

[**الثامن والعشرون** : أن الرضىٰ عن الله في جميع الحالات يُثمر للعبد رضىٰ الله عنه - كما تقدم بيانه في الرضىٰ به رباً[٣]- فإن الجزاء من جنس العمل ، وفي أثر إسرائيلي أن موسىٰ[٤] : سأل ربه[٥] : عما[٦] يدني من رِضاه؟ فقال : إن رضاي في رضاكَ بقضائي»][٧][٨].

التاسع[٩] **والعشرون** : أن الرضىٰ بالقضاء أشق شيء علىٰ النفس ؛ بل هو

---

(١) ط (ربه).

(٢) ط (القلب).

(٣) (رباً) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٤) ط (ﷺ).

(٥) ط (عزّ وجلّ).

(٦) أ ، ب ، غ ، ط (ما يدني) ، ح٢ (عن ما).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من د.

(٨) قوت القلوب ٢/ ٢٥٩ ، ٢/ ٤٧ ، الرسالة القشيرية ٢٩٨ ، إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٥ ، إتحاف السادة المتقين ١٢/ ٥١٨ ، ولم يذكر العراقىٰ فيه شيء.. وعزاه للقوت أيضاً ، وأورده شيخ الإسلام في الاستقامة ٢/ ٨٢ ، وفي الفتاوىٰ ١٠/ ٦٨٧ ثم قال : «.. فهذه الحكايات فيها نظر.. ومعلوم أن هذه الإسرائيليات ليس لها إسناد ولا تقوم بها حجة في شيء من الدين.. وقال منها - أي القصص - ما يُعلم كذبه مثل هذه ، فكيف يُقال إنه لا يطيق أن يعمل ما يرضىٰ الله به عنه.. » .

(٩) في د (الثامن والعشرون).

ذبحها في الحقيقة ، فإنه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها ، ولا تصير مطمئنة قط حتىٰ ترضىٰ بالقضاء ، فحينئذ تستحق أن يقال لها : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠].

الثلاثون : أن الراضي[1] متلق أوامر الرب[2] - الدينية والقدرية - بالانشراح والتسليم ، وطيب النفس ، والاستسلام ، والساخط يتلقاها بضد ذلك إلا ما وافق طبعه ، وإرادته منها.

وقد بيَّنا أن الرضىٰ بذلك لا ينفعه ولا يثاب عليه ، فإنه لم يرض به لكون الله عزّ وجلّ[3] قدّره وقضاه وأمر به ، وإنما رضي به لموافقته هواه وطبعه ، فهو إنما رضي بنفسه[4] وعن نفسه ، [5] لا عن ربه.

الحادي والثلاثون : أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضىٰ ، والطاعات كلها أصلها من الرضىٰ ، وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف صفات نفسه ، وما يتولد عنها من الطاعات والمعاصي.

---

(١) ق (الرضىٰ).

(٢) أ ، غ (أمر ربه) ، ط (أوامر ربه) ، وفي هامش أ ، ب (لعله الأوامر).

(٣) (عزّ وجلّ) سقطت من ط.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق ، ط (لنفسه).

(٥) ط زيادة (لا بربه).

الثاني[١] **والثلاثون** : أنّ عدم الرضىٰ يفتح باب البدعة ، والرضىٰ يغلق عنه ذلك الباب[٢] ، ولو تأملت بدع الروافض[٣] ، والنواصب[٤] ، والخوارج[٥] ، لرأيتها ناشئة من عدم الرضىٰ بالحكم الكوني ، أو الديني ، أو كليهما[٦].

الثالث والثلاثون : أن الرضىٰ معقد نظام الدين ظاهره وباطنه ، فإن القضايا لا تخلو من خمسة أنواع[٧].

---

(١) (الثاني) طمس من أ.

(٢) (الباب) سقط من ق.

(٣) **الرافضة** : سموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ ، وقال شيخ الإسلام : لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢١هـ ، وهنا افترقوا إلىٰ رافضة وزيدية ، وهم أهل أهواء وزنادقة وحماقة ، ثم تطورت الطائفة إلىٰ فرق ومذاهب شتىٰ فيها افتراق واجتماع ، وكلها علىٰ ضلالة. انظر : الفَرق بين الفِرَق ٢١ ، الملل والنحل ، ١/ ١٤٦ ـ ١٩٨ ، ومنهاج السنة ١/ ١٠ ـ ١١ ، الفتاوىٰ ١٣/ ٣٥.

(٤) **الناصبة** : قوم يتدينون ببغض علي ـ رضي الله عنه ـ ، وقد خرج عليه الخوارج وناصبوه العداء كما في موقعة الجمل ، وصفين. وهم في الجملة : كل من يؤذي أهل البيت بقول أو عمل. الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ٣/ ١٥٤ ، شرح الطحاوية ٥٤٩.

(٥) **الخوارج** : هم الذين خرجوا علىٰ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين جرىٰ أمر التحكيم، واجتمعوا (بحروراء) ورأسهم عبد الله بن سبأ ، وهم القائلون بتكفير أصحاب الكبائر ، والقول بالخروج علىٰ الأئمة ، وأن صاحب الكبيرة مخلد في النار.
انظر أقوالهم ومشاهيرهم : الملل والنحل ١/ ١١٥ ، ٢/ ١١٣ ، مقالات الإسلاميين ١٢٧ ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ١٧ ، فتاوىٰ شيخ الإسلام ١٣/ ٣٢.

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (كلاهما).

(٧) الأصل (أنعام) وش (أقسام) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط.

فتنقسم قسمين : دينية ، وكونية ، وهي مأمورات ، ومنهيات ، ومباحات ، ونعمٌ مُلِذّة ، وبلايا مؤلمة.

فإن[١] استعمل العبد[٢] الرضىٰ في[٣] ذلك كله ، فقد أخذ بالحظ الوافر من الإسلام ، وفاز بالقدح[٤] المعلَّىٰ.

الرابع[٥] والثلاثون : أن الرضىٰ يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالىٰ في أحكامه وأقضيته ، فإن السخط عليه مخاصمة له فيما لم يرض به العبد ، وأصل مخاصمة إبليس لربه : من عدم رضاه بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية ، فلو رضي لم يُمسخ من الحقيقة الملكية[٦] إلىٰ الحقيقة[٧] الإبليسية[٨].

الخامس والثلاثون : أن جميع ما في الكون أوجبته مشيئة[٩] الله ، وحكمته ، وملكه ، فهو موجب أسمائه وصفاته[١٠] ، فمن لم يرض بما قضىٰ[١١] به ربه ، لم

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (فإذا).

(٢) (العبد) سقط من أ ، ب ، غ.

(٣) ح٢ (بذلك).

(٤) أ ، ب ، غ (القدم).

(٥) (الرابع) طمس من أ.

(٦) د (المكية).

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (الشيطانية) بدل (الحقيقة).

(٨) سبق التعليق علىٰ هذه المسألة ص١٩٣٨.

(٩) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (مشيئة) من غير (لفظ الجلالة).

(١٠) (وصفاته) سقط من أ.

(١١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (رضي).

يرض بأسمائه وصفاته فلم يرض به رباً.

السادس والثلاثون : أن كل قدر[١] يكرهه العبد ولا يلائمه ، لا يخلو : إما[٢] أن يكون عُقوبةٌ علىٰ ذنب[٣] ، فهو دواء المرض[٤] لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامىٰ به المرض إلىٰ الهلاك ، أو يكون سبباً لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه ، فالمكروه ينقطع ويتلاشىٰ ، وما ترتب[٥] عليه من النعمة دائم لا ينقطع ، فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضىٰ عن ربه في كل ما يقضيه[٦] ، [٧]ويقدره.

السابع والثلاثون : أن حُكم الرب[٨] ماضٍ في عبده ، وقضاؤه عدل فيه ، كما في الحديث «ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك»[٩] ، ومن لم يرض بالعدل

---

(١) أ ، ب ، غ (قد) سقطت الراء.

(٢) (إما) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٣) ط (الذنب).

(٤) ط (المرض).

(٥) ط ، ق ، ح٢ (يترتب) ، أ ، ب ، غ (نزل) بدل (ترتب).

(٦) ش (يقتضيه).

(٧) ط زيادة (له).

(٨) ط زيادة (تعالىٰ).

(٩) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٣) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩) ، وقال صحيح علىٰ شرط مسلم ، وصحح سنده أحمد شاكر في شرح المسند (٥/ ٢٦٧) رقم(٣٧١٢) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) ، وقال رجاله

فهو من أهل الظلم والجور.

وقوله : «عدل فيَّ قضاؤك» يَعُم قضاء الذنب ، وقضاء أثره وعقوبته ، فإن الأمرين من قضائه عزّ وجل ، وهو من[1] أعدل العادلين في قضائه بالذنب ، وفي قضائه بعقوبته.

أما عدله في العقوبة فظاهر ، وأما عدله في قضائه بالذنب : فلأن الذنب عقوبة علىٰ غفلته[2] ، وإعراض قلبه[3] عن ربه ووليه ، ونقص إخلاصه :[4] وإلا فمع كمال الإخلاص[5] والإقبال علىٰ الله سبحانه[6] وذكره ، يستحيل[7] صدور الذنب ، كما قال تعالىٰ : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٢٤].

وإن قلت : قضاؤه[8] علىٰ عبده بإعراضه عنه ، ونسيانه إياه ، وعدم إخلاصه:

رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثّقه ابن حبان ، وصححه ابن القيم في شفاء العليل (٢٧٤) ، والألباني في الصحيحة (١/ ١٨٠) رقم(١٩٩).

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق سقطت (من).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (عن ربه).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (عنه فإنه إذا غفل قلبه).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (استحق أن يضرب بهذه العقوبة ؛ لأن قلوب الغافلين معدن الذنوب والعقوبات واردة عليها من كل جهة).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (والذكر).

(٦) ط زيادة (وتعالىٰ).

(٧) (يستحيل) سقطت من ش.

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (فقضاؤه).

عقوبة علىٰ ماذا؟.

قلت : هذا طبع النفس وشأنها ، فهو سبحانه إذا لم يرد الخير بعبده خلَّىٰ بينه وبين نفسه وطبعه وهواه ، وذلك يقتضي[١] أثرها من الغفلة والنسيان ، وعدم الإخلاص واتباع الهوىٰ ، وهذه الأسباب تقتضي آثارها من الآلام ، وفوات الخيرات واللذات ، كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وآثارها.

فإن قلت : فهلا خلقه علىٰ غير تلك الصفة؟.

قلت هذا سؤال فاسد ، ومضمونه : هلا خلقه ملكاً لا إنساناً؟.

فإن قلت : فهلا أعطاه التوفيق الذي يتخلص به من شر نفسه ، وظلم[٢] طبعه؟.

قلت : مضمون هذا السؤال: هلا سوىٰ بين[٣] خلقه؟ ولم خلق[٤] المتضادات والمختلفات؟ وهذا من أفسد الأسئلة ، وقد تقدم بيان اقتضاء حِكمته وربوبيته ومُلكه لخلق[٥] ذلك.

الثامن[٦] والثلاثون : أن عدم الرضىٰ إما أن يكون لفوات ما أخطأه مما يحبه ويريده ، وإما لإصابة ما يكرهه ويسخطه ، فإذا تيقن أن ما أخطأه لم يكن

---

(١) ق (تقتضي).

(٢) د ، ق ، ش (ظلمة).

(٣) ط زيادة (جميع).

(٤) ب (تُخلق) بدل (خلق).

(٥) ب (لخلقه).

(٦) (الثامن) طمس من أ.

ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه : فلا فائدة في سخطه بعد ذلك إلا فوات ما ينفعه وحصول ما يضرُّه.

التاسع والثلاثون : أن الرضىٰ من أعمال القلوب ، نظير الجهاد من أعمال الجوارح ، فإن[١] كل واحد منهما ذِروة سنام الإيمان ، قال أبو الدرداء : «ذروة سنام الإيمان : الصبر للحكم ، والرضىٰ بالقدر»[٢].

الأربعون : أن أول معصية عُصي الله بها في هذا العالم : إنما نشأت من عدم الرضىٰ ، فإبليس لم يرض بحكم الله الذي حكم به كوناً ، من تفضيل آدم وتكريمه ، ولا بحكمه الديني ، من أمره بالسجود له[٣] ، وآدم لم يرضَ بما أبيح له من الجنة ، حتىٰ يضمَّ[٤] إليه الأكل من شجرة الحِمىٰ[٥][٦] ، ثم

---

(١) ق (في أن) بدل (فإن).

(٢) الزهد لابن المبارك ٣١ ، الرضىٰ عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ١/ ٨٥ ، حلية الأولياء ١/ ٢١٦ ، اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٦٧٦ شعب الإيمان ١/ ٢١٩ ، قوت القلوب ٢/ ٤٥ ، ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٦ ، فيض القدير ٣/ ٥٦١.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (لآدم).

(٤) ط (ضم).

(٥) الحمىٰ : في لسان العرب الحمىٰ ما حُمِيَ من شيء ، وكلأ حمىٰ : محمي ، وحَمَيْت الحمىٰ : منعته ، لسان العرب ١٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، أما تسمية هذه الشجرة فقد قال ابن جرير الطبري بعد ذكر الأقوال في تسميتها ، قال : « والصواب في ذلك أن يقال : لا علم عندنا بأي شجرة كانت علىٰ التعيين ؛ لأن الله تعالىٰ لم يضع لعباده دليلاً علىٰ ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة.. إلىٰ قوله : وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله » ، تفسير الطبري ١/ ١٨٥ بتصرف.

(٦) غ (الحمد).

ترتب[١] معاصي الذرية علىٰ عدم الصبر و[٢] الرضىٰ.

الحادي[٣] والأربعون : أن الراضي واقف[٤] مع اختيار الله له ، معرض عن اختياره لنفسه ، وهذا من[٥] قوة معرفته بربه[٦] ، ومعرفته بنفسه.

و[٧]اجتمع وهيب بن الورد[٨] ، وسفيان الثوري ، ويوسف بن أسباط[٩] ، فقال الثوري : قد[١٠] كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم ، فأما[١١] اليوم : فوددت أني ميت.

---

(١) ق زيادة (علىٰ).

(٢) ط زيادة (عدم).

(٣) (الحادي) طمس من أ.

(٤) م ح٢ (وقف).

(٥) ش (مع) بدل (من).

(٦) ق ، ط زيادة (تعالىٰ).

(٧) ط زيادة (قد).

(٨) وهيب بن الورد العابد الرباني أبو أمية مولىٰ بني مخزوم ، ويقال اسمه عبد الوهاب روىٰ عن محمد بن المنكدر وغيره ، وعنه بشر السلمي وابن المبارك وغيرهم وثّقه ابن معين ، وقال النسائي ليس به بأس ، توفي سنة ١٥٣هـ/ طبقات ابن سعد (٥/ ٤٨٨) ، حلية الأولياء (٨/ ١٤٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٩٨).

(٩) يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ ، يروي عن سفيان الثوري وغيره وثقه ابن معين/ ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٣٧) ، صفة الصفوة (٤/ ٢١٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٦١) ، طبقات الصوفية للسلمي (ص٣٦).

(١٠) (قد) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب.

(١١) ط (وأما).

فقال له[١] يوسف[٢] : ولم؟ قال[٣] : لما[٤] أتخوف من الفتنة.

فقال يوسف : لكني أكره طول البقاء.

فقال الثوري : ولم تكره الموت؟.

قال : لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل عملاً صالحاً.

فقِيل لوهيب : أي شيء تقول أنت؟.

فقال : أنا لا أختار شيئاً ، أحبُّ ذلك إليَّ[٥] أحبه إلىٰ الله.

فقبَّل الثوري بين عينيه ، وقال : روحانية وربِّ الكعبة[٦].

فهذا حال عبد قد استوت عنده حالة البقاء[٧] والموت ، وقف مع اختيار الله له منهما[٨].

---

(١) (له) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٢) أ ، ب ، غ زيادة (ابن أسباط).

(٣) ش ، ط (فقال).

(٤) (لما) سقطت من ش.

(٥) د (الله) ، ق (أحب ذلك إلىٰ الله أحبه إليّ).

(٦) قوت القلوب ٢/ ٥١ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٥.

(٧) ق (حالات البقاء) وم ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (الحياة).

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (وقد كان وهيب بن الورد ـ رحمه الله ـ له المقام العالي من الرضىٰ وغيره).

الثاني والأربعون : أن يعلم أن منع الله سبحانه[١] لعبده المؤمن المحب له[٢] عطاء ، وابتلاءه إياه عافية ، قال سفيان الثوري : منع الله[٣] عطاء[٤] ؛[٥] لأنه يمنع عن غير[٦] بخل ولا عُدم ، فمنعه اختياراً[٧] وحسن نظر.

وهذا كما قال المصنف - رحمه الله -[٨]- فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، ساءه ذلك القضاء أو سره ، فقضاؤه لعبده المؤمن[٩] عطاء ، وإن كان في صورة[١٠] المنع. ونعمة ، وإن كانت في صورة محنة. وبلاؤه[١١] عافية ، وإن كانت[١٢] في صورة بلية ، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل ، وكان ملائماً لطبعه ، ولو

---

(١) ط زيادة (وتعالىٰ).

(٢) (له) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (منعه عطاء) ، ق (منع عطاء).

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٣٩ ، حلية الأولياء ٨/ ٢٨٧ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٧ ، وعن الفضيل نحوه ، إتحاف السادة المتقين ٢/ ٥٢٥ ، وعزاه لأبي نعيم في حلية الأولياء.

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (وذلك).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ط (لم يمنع من بخلٍ ولا عدم وإنما نظراً في حق عبده المؤمن).

(٧) ح٢ (اختياره).

(٨) (المصنف رحمه الله) سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٩) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (المنع).

(١٠) (التاء) سقطت من ط.

(١١) (وبلاؤه) سقطت من الأصل والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(١٢) ط (كان).

رُزق من المعرفة حظًّا وافراً لَعَدّ المنع نعمة[١] الله عليه فيما يكرهه[٢] ، [٣] أعظم من نعمه عليه فيما يحبه ، كما قال بعض العارفين : يا ابن آدم نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب[٤] ، وقد قال تعالىٰ : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة :٢١٦] ، و[٥]قال بعض العارفين : ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك[٦] ، فإنه ما منعك إلا ليعطيك ، ولا ابتلاك إلا ليعافيك ، ولا أمرضك إلا ليشفيك ، ولا أماتك إلا ليحييك ، فإياك أن تفارق الرضىٰ عنه طرفة عين ، فتسقط من عينه[٧].

---

(١) في م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (والبلاء رحمة وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية وتلذذ بالفقر أكثر من تلذذه بالغنىٰ ، وكان في حال القلة أعظم شكراً من حال الكثرة ، وهذه كانت حال السلف ، فالعاقل الراضي من يعد البلاء عافية والمنع نعمة والفقر غنىٰ ، وأوحىٰ الله إلىٰ بعض أنبيائه : « إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنىٰ مقبلاً فقل ذنب عُجِّلت عقوبته ») ، قلت وهذا الكلام أورده أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٣٧ ، الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ١٩٦ ، وعزاه العراقي في تخريجه للإحياء لأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه ، وعن كعب الأحبار بسند ضعيف ولم أجده ، والمراد بالنبي موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، كما في تفسير الطبري ٦/ ٤٢٦ وغيره ، وانظر الإتحافات السنية ٣١١.

(٢) ق (يكره).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (أكثر و).

(٤) نحوه في سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٨ ، حلية الأولياء ٦/ ١٧١.

(٥) ط زيادة (قد).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (لك) بدل (بك).

(٧) لم أجده.

الثالث والأربعون : أن يعلم أنه[١] سبحانه هو الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والمُظهِر لكل شيء ، والمالك لكل شيء ، وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار ، وليس للعبد أن يختار عليه ، وليس لأحد معه[٢] اختيار ، ولا يشرك في حكمه أحداً ، والعبد لم يكن شيئاً مذكوراً ، فهو سبحانه الذي اختار وجوده ، واختار أن يكون كما[٣] قدره له وقضاه : من عافية وبلاء ، وغنىٰ وفقر ، وعزّ وذل ، ونباهة وخمول ، فكما[٤] تفرد سبحانه بالخلق ، تفرد بالاختيار والتقدير[٥] والتدبير - وليس للعبد شيء من ذلك - فإن الأمر كله لله ، وقد قال تعالىٰ لنبيه[٦] : [﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] ، فإذا تيقن العبد أن الأمر كله لله ، وليس له][٧] من الأمر قليل ولا كثير ، لم يكن له[٨] معول - بعد ذلك - غير الرضىٰ بمواقع الأقدار ، وما يجري[٩] به من ربه الاختيار.

الرابع والأربعون: أنَّ رضىٰ الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها ، لأنه[١٠] صفته

---

(١) (أنه) سقطت من ش.

(٢) الأصل (شيء اختيار) والأقرب حذفها كما في بقية النسخ.

(٣) أ ، ب ، غ (كلما).

(٤) أ ، ب (فكلما).

(٥) (والتقدير) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٦) ط زيادة (صلىٰ الله عليه وسلم).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، و(ليس) سقطت من د ، ق ، ط.

(٨) (له) سقطت من الأصل والصحيح ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش.

(٩) د (له) ، ق (جرىٰ).

(١٠) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (لأن الرضىٰ صفة الله).

والجنة خلقه، قال الله تعالىٰ: (١) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا (٢) ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وهذا الرضىٰ جزاء علىٰ رضاهم عنه في الدنيا، فكما (٣) كان هذا الجزاء أفضل الجزاء (٤)، كان سببه أفضل الأعمال.

الخامس والأربعون: أن العبد إذا رضي به وعنه في جميع الحالات، لم يتخيَّر (٥) عليه المسائل وأغناه رضاه بما يقسمه له ويقدره ويفعله به عن ذلك، وجعل ذكره في محل سؤاله؛ بل يكون (٦) سؤاله (٧) له الإعانة علىٰ ذكره (٨) وبلوغ رضاه، فهذا يُعطىٰ أفضل ما يعطاه سائل كما في الأثر (٩) المعروف: «من شغله ذِكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» (١٠)، فإن السائلين سألوه،

---

(١) م، أ، غ، ح٢، ب، د (ورضوان من الله أكبر بعد قوله).

(٢) أ، ب، غ بعد قوله ﴿من تحتها﴾، قال (إلىٰ قوله: ﴿الفوز العظيم﴾).

(٣) ط (ولما)، أ، ب، غ (كما).

(٤) (أفضل الجزاء) سقطت من م.

(٥) ش (لم تخير).

(٦) ط زيادة (من).

(٧) (سؤاله) سقطت من ش.

(٨) (ذكره) سقطت من الأصل والصحيح ما أثبته من م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق.

(٩) م، أ، غ، ح٢، ب، ق (الحديث) بدل (الأثر).

(١٠) أخرجه الترمذي. فضائل القرآن (٥/ ١٨٤) ح(٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري وقال

فأعطاهم الفضل الذي سألوه ، والرضوان رضوا عنه فأعطاهم رضاه عنهم ، ولا يمنع الرضىٰ سؤاله أسباب الرضىٰ ، بل أصحابه مُلِحُّون في سؤاله ذلك.

السادس والأربعون : أن النبي كان يندب إلىٰ أعلىٰ المقامات ، فإن عجز العبد عنه : حطّه إلىٰ المقام الوَسط ، كما قال : «**اعبد الله كأنك تراه**»[1] ، فهذا مقام المراقبة الجامع لمقامات الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم قال : «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» فحطه عند العجز عن هذا إلىٰ مقام[2] العلم باطلاعه[3] ورؤيته[4] ومشاهدته لعبده[5] ، وكذا الحديث الآخر « **إن استطعت أن تعمل لله بالرضىٰ**

حسن غريب ، والدارامي (٢/ ٥٣٣) ، والطبراني في الدعاء رقم (١٨٥١) ، والبيهقي في الاعتقاد (١٠١) ، وابن حيان في المجروحين (١/ ٣٧٦) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٩) ، وفيه محمد بن الحسن الهمذاني متروك بل كذّبه بعضهم كما في تهذيب التهذيب (٩/ ١٠٢)، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٧٦) ، وأورده ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٦٦) ، وقال رجاله ثقات إلا عطية العوفي ضعيف وفي (١١/ ١٣٤) عزاه للطبراني بسند لين ، وقال أبو حاتم في العلل عندما سأله ابنه عن هذا الحديث قال : منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي (٢/ ٨٢) ، ومن حديث حذيفة أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣١٣) ، ومن حديث عمر وجابر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٥٧٣) ، ومن حديث عمر أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (٦/ ٤٦) ، وقال ليس يجيء فيما علمت مرفوعاً إلا عن هذا الطريق ، وذكر الأثر الألباني في الضعيفة (٣/ ٥٠٦) (١٣٣٥).

(١) الحديث في الصحيحين وتقدم تخريجه ص١٦٣٠.

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (المقام الأول إلىٰ المقام الثاني وهو).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (باطلاع الله عليه).

(٤) ط زيادة (له).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (في الملأ والخلاء).

مع اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر علىٰ ما تكره النفس خيراً كثيراً»[١] ، فرفعه إلىٰ أعلىٰ المقامات ، ثم رده إلىٰ أوسطها إن لم يستطع الأعلىٰ ، فالأول : مقام الإحسان ، والذي حطّه إليه مقام الإيمان ، وليس دون ذلك إلا مقام الخسران[٢].

السابع والأربعون : أنه أثنىٰ علىٰ الراضين بمرِّ القضاء بالحكم والعلم والفقه ، والقرب من درجة النبوة ، كما في حديث الوفد الذين قدموا علىٰ النبي (ﷺ[٣]) فقال : «ما[٤] أنتم؟ فقالوا مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم؟ فقالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضىٰ بمرِّ القضاء ، والصِّدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء ، فقال : حُكَماء عُلَماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»[٥].

---

(١) هذا جزء من ألفاظ حديث ابن عباس وتقدم تخريجه ص١٨١٦.

(٢) لعل الذي يلي هذه الدرجة مقام الإسلام كما هي الدرجات المعروفة وقد أشار إليها في بداية (السادس والأربعون).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (رسول الله) بدل (النبي).

(٤) ب (من) بدل (ما).

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٧٩) ، والبيهقي في الزهد (٣٥٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وأبو أحمد العسكري كما في الإصابة (٢/ ٩٨) ، وأبو موسىٰ المدني في كتاب الصحابة كما في إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٢/ ٥١٥) ، والحديث لا يصح ففي سنده علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده ، قال الذهبي في الميزان (٣/ ١٠٨) لا يعرف وأتىٰ بخبر منكر فلا يحتج به ، وضعفه العراقي كما في تخريج الإحياء (١/ ٢٦).

الثامن والأربعون : أن الرضىٰ آخذ بزمام مقامات الدين كلها ، وهو روحها وحياتها ، فإنه روح التوكل وحقيقته ، وروح اليقين ، وروح المحبة ، وصفة[١] المحب ، ودليل صدق المحبة ، وروح الشكر ودليله.

قال الربيع بن أنس[٢] : علامة حب الله : كثرة ذكره ، فإنك لا تحب شيئاً إلا أكثرت من ذكره ، وعلامة الدين : الإخلاص لله[٣] وعلامة الشكر ، الرضىٰ بقدر الله والتسليم لقضائه[٤].

وقال أحمد بن أبي الحواري[٥] : ذاكرت أبا سليمان في الخبر المروي «أول

---

(١) ط (صحة).

(٢) الربيع بن أنس بن زياد الخراساني المروزي البصري ، سمع أنس بن مالك والحسن البصري وحديثه في السنن الأربعة ، وكان عالم مرو في زمانه ، توفي سنة ١٣٩هـ/ طبقات ابن سعد (٧/ ١٠٢) ، الثقات لابن حبان (٣/ ٦٤) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (في السر والعلانية).

(٤) أخرج هذا الأثر المروزي في تعظيم قدر الصلاة عن الربيع عن بعض أصحابه ٢/ ٢٧٨ ، وذكره البيهقي في شعب الإيمان وضعّف سنده ١/ ٣٦٧ - ٣٧٠ ، بلفظ علامة حب الله حب ذكره ، وعزاه لمالك بن دينار ١/ ٣٨٨ ، وذكره أبو يعلىٰ القزويني في الإرشاد مرفوعاً وقال إنه منكر لا أصل له ١/ ٤٠٩ وكذا ابن عدي في الكامل ٣/ ١٨٥ وقال فيه أربعة أحاديث مناكير ، وفي حلية الأولياء عن شميط (علامة المنافق قلة ذكر الله) ، ٣/ ١٢٩ وأقوال حول دوام الذكر عن أعلام آخرين ٤/ ٣٦٠.

(٥) أبو الحسن ، أحمد بن علي بن أبي الحواري ، واسم أبي الحواري ميمون ، سكن دمشق ، اشتهر بالزهد والورع ، صحب أبا سليمان الداراني وغيره ، توفي سنة ٢٠٣هـ/ حلية الأولياء

من[١] يُدعىٰ إلىٰ الجنة الحمّادون»[٢]، فقال: ويحك، ليس هو أن تحمده علىٰ المصيبة وقلبك يتعصّىٰ عليك، إذا كنت كذلك فارجع إلىٰ الصابرين، إنما الحمد: أن تحمده وقلبك مسلم راضٍ.

فصار الرضىٰ كالروح لهذه المقامات، والأساس الذي تنبني عليه، ولا يصح شيء منها[٣] بدونه البتة[٤].

التاسع والأربعون: أن الرضىٰ يقوم[٥] له[٦] مقام كثير من[٧] التعبدات التي تشق

(١٠/ ٥ ـ ٣٣)، صفة الصفوة (٤/ ٢٠١، ٢١٢)، شذرات الذهب (٢/ ١١)، الرسالة القشيرية (ص٦٤).

(١) أ، ب، غ (ما).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٢)، وقال صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. والطبراني في الكبير (١٢/ ١٩)، والسيوطي في الجامع الصغير (١/ ١١٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٥)، وعزاه للطبراني بأسانيد ثلاثة وقال في أحدها: قيس ابن الربيع وثقه شعبة وغيره، وضعفه يحيىٰ القطان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح، وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (٢/ ٩٣) رقم(٦٣٢)، وهو في قوت القلوب (١/ ٢٤٠)، وحلية الأولياء (١٠/ ١٠)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦)، وأورده شيخ الإسلام في التحفة العراقية (٣٦١).

(٣) ق (فيها).

(٤) ق (والله أعلم).

(٥) غ (لا يقوم).

(٦) م، أ، غ، ح٢، ب سقطت (له).

(٧) (من) سقطت من م، أ، غ، ح٢، ب، د.

علىٰ البدن فيكون رضاه أسهل عليه ، وألذّ له ، وأرفع في درجته ، وقد ذُكر في أثر إسرائيلي : أن عابداً عبد الله دهراً طويلاً ، فأُرِيَ في المنام : أن فلانة الراعية رفيقتك في الجنة ، فسأل عنها إلىٰ أن وجدها ، فاستضافها ثلاثاً لينظر إلىٰ عملها فكان[١] يبيت قائماً وتبيت نائمة ، ويظل صائماً وتظل مفطرة ، فقال لها أما لك عمل غير ما رأيت قالت : ما هو والله غير ما رأيت[٢] لا أعرف غيره ، فلم يزل يقول[٣] : تذكري ، حتىٰ قالت خُصيلة واحدة هي فيَّ[٤] : أني إن كنت في شدة لم أتمن أني في الرخاء[٥] ، وإن كنت في مرض لم أتمن أني في صحة ، وإن كنت في الشمس لم أتمن أني في الظل ، قال : فوضع العابد يده علىٰ رأسه وقال : أهذه[٦] خُصيلة؟ هذه والله خصلة عظيمة يعجز[٧] عنها العباد[٨].

---

(١) ش (وكان).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق زيادة (أو قالت إلا ما رأيت).

(٣) ط زيادة (لها).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (وذلك).

(٥) أ ، ب ، غ ، ط (رخاء).

(٦) ق (هذه) بحذف الألف.

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (تعجز).

(٨) وأبو نعيم بسنده في حلية الأولياء ١/ ١٩٣ ، قوت القلوب ٢/ ٤٥ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٦ ، إتحاف السادة المتقين ١٢/ ٥٢٣.

وقد رُوي عن[١] ابن مسعود[٢] : «من رضي بما نزل[٣] من السماء إلىٰ الأرض غُفرَ له»[٤].

وفي أثر مرفوع : «من خير ما أُعطي العبد الرضىٰ بما قسَم الله له»[٥].

وفي أثر آخر : «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه ، فإن رضي اصطفاه» [٦].

وفي أثر : أن بني إسرائيل «سألوا موسىٰ أن يسأل ربه أمراً إذا هم فعلوه رضي عنهم ، فقال موسىٰ : ربِّ ، إنك تسمع[٧] ما يقولون ، فقال : قل لهم يرضون عني حتىٰ أرضىٰ عنهم» [٨].

وفي أثر آخر عن النبيِّ ﷺ : «من أحبَّ أن يعلم ما له عند الله ، فلينظر ما لله

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (روىٰ ابن مسعود).

(٢) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٣) أ ، ب ، غ (أنزل).

(٤) الزهد الكبير للبيهقي برقم ٨٢٦ طباعة مؤسسة الرسالة ، وانظر مواعظ الصحابة ص٢٠٠.

(٥) لم أجده.

(٦) معجم الفردوس (١/ ٢٥١) رقم (٩١٧) عن علي ـ رضي الله عنه ـ ، تذكرة الموضوعات للفتني تصوير بيروت (١٩٣) ، طرفه الأول في كنز العمال (٣/ ٣٢٥) ح(٦٧٧١) ، (١١/ ١٠٠) ح(٣٠٧٩٢) (٣٠٧٩٣).

(٧) أ (لتسمع).

(٨) ذكر نحوه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين عن عيسىٰ ـ عليه السلام ـ ١٢/ ٥٨٣.

عنده فإن الله ينزل منه حيث ينزله العبد من نفسه»[١].

وفي أثر أخر : «من رضي من الله بالقليل من الرزق ، رضي الله منه[٢] بالقليل من العمل»[٣].

وصايا بعض العارفين في فضيلة الرضى

وقال بعض العارفين : أعرف في الموتىٰ عالماً ينظرون إلىٰ منازلهم في الجنان في قبورهم ، يُغْدىٰ عليهم ويُراح برزقهم من الجنة بُكرة وعشياً ، وهم في غموم وكروب في البرزخ ، لو قُسمت علىٰ أهل بلد لماتوا أجمعين.

قيل وما كانت أعمالهم؟ قال : كانوا مسلمين مؤمنين ، إلا أنهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضىٰ نصيب[٤].

وفي وصية لقمان[٥] لابنه : «أوصيك بخصالٍ تقرّبك من الله ، وتباعدك من

---

(١) المستدرك (١/ ٤٩٤) وصححه ، وضعف الذهبي بعض رجاله وكذا ابن حجر في التقريب (٢/ ٥٩) ، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٥) ، وقال العراقي صحيح بلفظ (منزلته) ، قوت القلوب (٢/ ٤٥) ، المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٣٥) ، تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٩).

(٢) ش زيادة (عنه).

(٧) قوت القلوب ٢/ ٤٦ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٤ وضعف إسناده العراقي/ والديلمي في مسند الفردوس ٥/ ٢٦٦٥ ، إتحاف السادة المتقين ١٢/ ٥١٥ ، وعزاه للمحاملي في الأمالي من حديث علي.

(٤) قوت القلوب (٢/ ٤٦) قال : قال بعض علمائنا.

(٥) لقمان بن عنقاء بن سدوف ، أبو أنعم وهو ممن عاصر داود عليه الصلاة والسلام ، وأصح الأقوال أنه حكيم وليس نبياً ، وقد تنوعت الأقوال المنسوبة إليه والثابت منها اسمه وما نص

سخطه : أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وأن ترضىٰ بقدر الله فيما أحببت وكرهت»[١].

وقال بعض العارفين : من يتوكل علىٰ الله ، ويرضىٰ بقدر الله ، فقد أقام الإيمان ، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير ، وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح[٢] للعبد أمره [٣].

الخمسون : أن الرضىٰ يفتح باب حسن الخلق مع الله[٤] ومع الناس[٥] فإن حسن الخلق من الرضىٰ وسوء الخلق من السخط ، وحسن الخلق[٦] يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم[٧] ، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

القرآن عليه ، وما سوىٰ ذلك فهو محل الأخذ والرد/ البداية والنهاية (٢/ ٢٣ ، ١٢٥) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٣) ، إرشاد الساري (٧/ ٢٨٨) ، وانظر رسالة «لقمان الحكيم» تأليف محمد خير رمضان يوسف.

(١) لم أجده.

(٢) (تصلح) سقطت من ق.

(٣) لم أجده.

(٤) ط (تعالىٰ).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (والسخط يفتح باب سوء الخلق مع الله تعالىٰ ومع الناس).

(٦) (الخلق) سقطت من د.

(٧) فيه إشارة إلىٰ الحديث « إنَّ الرجل ليدرك بحسن خلقه.. » أخرجه أحمد من حديث عائشة (٦/ ١٣٣) ، وأبو داود. الأدب (٥/ ١٤٩) ح(٤٧٩٨) ، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٢٩) ، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨) وقال علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه وشاهده صحيح علىٰ شرط مسلم ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٦) ، وابن عبدالبر في التمهيد (٢٤/ ٨٥).

الحادي والخمسون : أن الرضىٰ يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور ، وطيب النفس وسكونها في كل حال[١] ، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مُهْلع[٢] من أمور الدنيا ، وبرد القناعة ، واغتباط العبد بقسمه من ربه ، وفرحه بقيام مولاه عليه ، واستسلامه لمولاه في كل شيء ورضاه منه بما يجريه عليه ، وتسليمه له[٣] الأحكام والقضايا ، واعتقاد حسن تدبيره ، وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوىٰ ربه إلىٰ غيره وتبرمه بأقضيته ، ولهذا سمىٰ بعض العارفين الرضىٰ : حسن الخلق مع الله ، فإنه يُوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه ، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه ، فلا يقول[٤] : ما أحوج الناس[٥] إلىٰ مطر؟ ولا يقول : هذا يوم شديد الحر و[٦] شديد البرد ، ولا يقول : الفقر بلاء ، والعيال هَمٌّ[٧] وغم ، ولا يسمي شيئاً قضاه الله وقدَّره باسم مذموم إذا لم يذمه[٨] الله[٩] ، فإن هذا كله ينافي رضاه.

---

(١) م (حاله).

(٢) مُهلع : الهَلَع : الحرص وقلة الصبر ، لسان العرب (٨/ ٣٧٤) ، والهلع : أفحش الجزع ، مختار الصحاح (٦٩٧).

(٣) (له) سقطت من م.

(٤) غ (يقال).

(٥) (الناس) سقطت من د.

(٦) ط (أو).

(٧) (هم) سقطت من د.

(٨) (إذا لم يذمه الله) سقطت من أ ، ب.

(٩) ط زيادة (سبحانه وتعالىٰ).

قال[١] عمر بن عبد العزيز[٢][٣]: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر[٤].

وقال ابن مسعود[٥] : «الفقر والغنىٰ مطيَّتان ما أبالي أيهما ركبت ، إن كان الفقر فإن فيه الصبر ، وإن كان الغنىٰ فإن فيه البذل» [٦].

وقال ابن أبي الحواري[٧] - أو قيل له[٨] - إن فلاناً قال[٩] : وددت أن الليل أطول مما هو ، فقال : قد أحسن ، وقد أساء[١٠] ، أحسن حيث تمنىٰ طوله

---

(١) ط (وقال).

(٢) ط زيادة (رحمه الله).

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، قرشي أموي ، ولد سنة ١٣هـ ، إمام مجتهد زاهد ثقة فقيه ، توفي سنة ١٠١هـ : سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤) ، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣٠) ، التاريخ الكبير (٦/ ١٧٤).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٦ ـ ٣٤٦) ، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٢٢) ، المعرفة والتاريخ (١٠/ ٥٧٠) ، ونحوه في الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة (٣/ ٢٦) رقم(١٠) ، ونحوه في شعب الإيمان (١/ ٢٢٧) رقم(٢٢٨) ، قوت القلوب (٢/ ٤٠).

(٥) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٦) قوت القلوب (١/ ٢٣١) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٩) ، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٣٥) وعزاه للطبراني ، وبنحوه في الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٦٢) رقم (٥٩) ، الزهد لابن المبارك (١٩٩) رقم(٥٦٦) بلفظ (بأيهما ابتليت) ، ونحوه في الرسالة القشيرية عن عمر (ص٢٩١).

(٧) ش (لأبي سليمان) وهذا هو الموافق لما في حلية الأولياء (٩/ ٢٥٨).

(٨) (أو قيل له) سقطت من الأصل ، ش ، والأقرب إثباتها كما في م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٩) م (يقول).

(١٠) (وقد أساء) سقطت من ق.

للعبادة[١] ، وأساء إذ أحب ما لم يحبه الله[٢][٣].

وقال عمر بن الخطاب[٤] : «ما أُبالي علىٰ أي حال[٥] أصبحت وأمسيت : من شدة أو رخاء»[٦].

وقال يوماً لامرأته عاتكة ، أخت[٧] سعيد بن زيد - وقد غضب[٨] - : «والله لأسوأنك ، فقالت : أتستطيع أن تصرفني عن الإسلام ، بعد إذ هداني الله[٩]؟ قال: فقالت[١٠] : فأي شيء تسوءني به إذاً؟»[١١].

تريد أنها راضية بمواقع القدر، لا يسوؤها منه شيء إلا صَرْفها عن الإسلام ،

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (والمناجاة).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (حيث تمنىٰ ما لم يرده الله ، وأحب ما لم يحبه الله).

(٣) قوت القلوب (٢/ ٤٦) ، حلية الأولياء (٩/ ٢٥٨) ، بلفظ « قلت لسليمان أن ابن داود » .

(٤) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٥) ش (حالة).

(٦) الزهد لابن المبارك (٤٢٥) ، الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٤٢) رقم(٣٠) (٣/ ٢١) رقم(١٣) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦) ، ونحوه في (٢٦٩ ـ ٢٨١) ، تنبيه الغافلين (٣٦٤) ، قوت القلوب (٢/ ٤٠) ، كنز العمال برقم (٨٥٣٧).

(٧) أ ، ب ، غ (بنت) وهو خلاف الصحيح فزوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، توفيت سنة ٤١هـ كما في البداية والنهاية (٧/ ١٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٦٤).

(٨) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (عليها).

(٩) ط زيادة (له).

(١٠) ق زيادة (قالت).

(١١) لم أجده.

ولا سبيل له إليه.

وقال الثوري[١] يوماً عند رابعة[٢] : اللهم ارض عنا ، فقالت أما تستحي أن تسأله الرضىٰ[٣] ، وأنت غير راضٍ عنه؟ فقال : أستغفر الله ، ثم قال لها جعفر بن سليمان : متىٰ يكون العبد راضياً عن الله فقالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة[٤].

وفي أثر إلهي : «ما لأوليائي والهمِّ بالدنيا؟ إن الهمَّ بالدنيا يُذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[٥].

وقيل : أكثر الناس همّاً بالدنيا أكثرهم همّاً في الآخرة ، [وأقلهم همّاً بالدنيا أقلهم همّاً في الآخرة][٦][٧].

---

(١) سفيان بن سعيد الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد سنة ٩٧هـ ، وتوفي في البصرة سنة ١٦١هـ/ طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٠) ، صفة الصفوة (٣/ ٩٧) ، حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦).

(٢) رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية الزاهدة ، أم عمرو ، من أهل الصلاح والزهد توفيت سنة ١٣٥هـ/ سير أعلام النبلاء (٨/ ٢١٥) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٣) ، التعرف (٧٣ ، ١٢١) ، الرسالة القشيرية (٨٦) ، طبقات الأولياء (٢٨٤).

(٣) ط (عنك).

(٤) قوت القلوب (٢/ ٤٦) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦)، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٢٥)، وجعفر هذا هو ابن سليمان الضبيعي ، كما في إتحاف السادة المتقين.

(٥) نحوه في حديث خيثمة الإطرابلسي قال : أوحىٰ الله إلىٰ داود (ص١١٦) ، الجرح والتعديل (١/ ٩٤).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ش ، أ.

(٧) قوت القلوب (٢/ ٤٦) ، نحوه في مجموعة آثار السلمي (٢/ ٣٨١).

فالإيمان بالقدر ، والرضىٰ به : يذهب عن العبد الهم والغم والحزن.

وذكر عند رابعة وليٌّ لله قوته من المزابل ، فقال رجل[١] ، [٢] ما ضرَّ هذا أن[٣] يسأل الله أن يجعل قوته[٤] في غير هذا؟ فقالت : أسكت يا بطال ، أما علمت أن أولياء الله هم أرضىٰ عنه من أن يتخيروا عليه أن[٥] ينقلهم إلىٰ معيشة حتىٰ يكون هو الذي يختار لهم[٦].

وفي أثر إسرائيلي : «أن موسىٰ[٧] : سأل ربه[٨] عما فيه رضاه؟ فأوحىٰ[٩] إليه : إنَّ رضائي[١٠] في كرهك ، وأنت لا تصبر علىٰ ما تكره، فقال: رب ، دلني[١١]

---

(١) ط (رجال).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (عندها).

(٣) (أن) سقطت من ق.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (رزقه).

(٥) أ ، ب ، غ (أن يسألوه).

(٦) قوت القلوب (٢/ ٤٦) ، الأولياء لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٤/ ٢٤) رقم٥٠ ، والرضا له (٣/ ٣٣) رقم(٢١).

(٧) ط زيادة (ﷺ).

(٨) (ربه) سقطت من ق.

(٩) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(١٠) ط (رضاه).

(١١) (دلني) سقطت من د ، ق.

عليه ، فقال : إنّ رضائي[١] في رضاك بقضائي»[٢].

وفي أثر آخر : أن موسىٰ[٣] قال : «يا رب ، أيّ خلقك أحب إليك؟ فقال : من إذا أخذت منه محبوبه سالمني ، قال : فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال : من يستخيرني[٤] في أمر فإذا قضيته له سخط قضائي»[٥].

وفي أثر آخر : «أنا الله ، لا إله إلا أنا ، قدَّرت المقادير[٦] ، ودبَّرت التدبير[٧] ،

---

(١) ط (رضاه).

(٢) قوت القلوب (٢/ ٤٧) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٥) ، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥١٨) ، نحوه في الفتاوىٰ (١٠/ ٦٨٧) ، الاستقامة (٢/ ٨٢) ، وهو في الرسالة القشيرية (٢٩٨) ، وذكره ابن القيم في الوابل الصيب (٩٨) عن طريق محمد بن كعب القرطبي وعزاه للبيهقي ، وقد تناول شيخ الإسلام بعض مباحثها منها مبحث الرضىٰ فلما ذكر شيخ الإسلام هذا القول، قال : «إن هذه آثار ضعيفة ، وحكايات إسرائيلية فيها نظر وليس لها إسناد ولا يقوم بها حجة في شيء من الدين وهذه القصة مما يُعلم كذبه فإن موسىٰ من أعظم أولي العزم وأكابر المسلمين فكيف يقال إنه لا يطيق أن يعمل بما يرضي الله عنه..» ، الفتاوىٰ (١٠/ ٦٨٧) ، وفي شعب الإيمان (١/ ٢٠٨) عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله تعالىٰ من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس رباً غيري».

(٣) ط زيادة (عليه السلام).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د (استخارني) ، ق (من إذا استخارني).

(٥) قوت القلوب (٢/ ٤٧)، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٥)، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥١٨) ، وذكره ابن القيم في الوابل الصيب (٩٨).

(٦) ط (التقادير).

(٧) ط (التدابير).

وأحكمت الصنع ، فمن رضي فله الرضىٰ مني حتىٰ يلقاني ، ومن سخط فله السخط حتىٰ يلقاني»[١].

الثاني والخمسون : أن أفضل الأحوال : الرغبة في الله ولوازمها ، وذلك لا يتم إلا باليقين ، والرضىٰ عن الله ، ولهذا قال سهل : حظُّ الخلق من اليقين علىٰ قدر حظهم من الرضىٰ ، وحظهم من الرضىٰ علىٰ قدر رغبتهم في الله[٢].

الثالث والخمسون : أن الرضىٰ يخلصه من عيب ما لم يعبه الله ، ومن ذم ما لم يذمه[٣] ، فإن العبد إذا لم يرض بالشيء عابه بأنواع المعايب ، وذمه بأنواع الذم[٤] ، وذلك[٥] قلة حياء من الله ، وذم لما لا ذنب له[٦] ، وعيب لخلقه ، وذلك يسقط العبد من عينه[٧] ولو أن رجلاً صنع لك طعاماً وقدمه إليك فعِبته وذممته ، لكنت متعرضاً لمقته وإهانته ، ومستدعياً منه : أن يقطع ذلك عنك ، وقد قال :

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٤٧)، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٥)، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥١٩) ، وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ.

(٢) قوت القلوب عن محمد بن سهل (٢/ ٤٨) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٧) ، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٢٥).

(٣) ق ، ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٤) ط (المذام).

(٥) ط زيادة (منه).

(٦) د (ذم ذنب له وعيب لخلقه) ، ح٢ (وذم لمن ليس ذنب وعيب لخلقه) ، ق (وذم لما لم ذنب له) ، ط (لما ليس له ذنب) وهي ساقطة من م.

(٧) ط (عين ربه) وكذا في حاشية الأصل.

بعض العارفين : إن ذم المصنوع وعيبه - إذا لم يذمه صانعه - غيبة له وقدح فيه [١].

الرابع والخمسون : أن النبي ﷺ سأل الله الرضىٰ بالقضاء ، كما في المسند والسنن : «اللهم بعلمك الغيب ، وقُدرتك علىٰ الخلق ، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي ، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضىٰ ، وأسألك القصد في الفقر والغنىٰ ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قُرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضىٰ بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذّة النظر إلىٰ وجهك[٢] والشوق إلىٰ لقائك ، في غير ضرّاء مضرة ، ولا فتنة مُضلّة ، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مُهتدين»[٣].

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] يقول : سأل[٥] الرضىٰ بعد القضاء ؛ لأنه حينئذ تبين حقيقة[٦] الرضىٰ ، وأما الرضىٰ قبله : فإنما هو عزم علىٰ أنه يرضىٰ[٧]

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٤٨).

(٢) ط زيادة (الكريم وأسألك).

(٣) تقدم تخريجه ص١٨٩٢.

(٤) ط زيادة (قدس الله روحه).

(٥) أ ، ب ، غ (سأله) و د ، ق (وأسألك).

(٦) أ ، ب ، غ (حقيقته).

(٧) ق (ربه).

إذا أصابه ، وإنما يتحقق الرضىٰ بعده[١].

قال البيهقي : وروينا في دعاء النبي ﷺ : «**اللهم إني أسألك الصِّحة ، والعِفَّة ، والأمانة ، وحُسن الخُلُق ، والرضىٰ بالقدر**»[٢].

الخامس والخمسون : أن الرضىٰ بالقدر يخلص العبد من أن يُرضي الناس بسخط الله ، وأن يذمهم علىٰ ما لم يؤته الله ، وأن يحمدهم علىٰ ما هو محض[٣] فضل الله ، فيكون ظالماً لهم في الأول[٤] ، [٥] - مشركاً بهم في الثاني - [٦] ، فإذا رضي بالقضاء تخلص من ذمهم ذلك[٧] وحمدهم ، [فخلصه الرضىٰ من ذلك كله][٨].

---

(١) الاستقامة (٢/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢١٧) ، وهو جزء من حديث ابن عباس « يا غلام.. » وفي لفظ «**وأسألك الرضىٰ بعد القضاء..**» ، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٣) ، وعزاه للطبراني والبزار ، وقال فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : وهو ضعيف ، وقد وثِّق ، وبقية رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح ، وأوله عند الطبراني في الكبير (٦/ ٨٨) رقم (٢٥٤٢).

(٣) أ ، غ ، ط (عين).

(٤) أ ، ب ، غ ، ح٢ (الأولىٰ).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (وهو رضاهم وذمهم).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (وهو حمدهم).

(٧) (ذلك) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٨) ما بين المعقوفين سقط من ش.

وقد روىٰ عمر بن قيس المُلائي[١] عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من ضعف اليقين: أن تُرضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذُمَّهم علىٰ ما لم يؤتِك الله، إن رزق الله لا يجُرُّه حرص حريص، ولا يرده كُره كارِه، وأن الله - بحكمته - جَعَل الرَّوح والفرح في الرضىٰ واليقين، وجَعَل الهم والحزن في الشك والسخط**»، وقد رواه الثوري عن منصور عن خيثمة عن ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ[٢].

السادس والخمسون: أن الرضىٰ يفرغ قلبه[٣]، ويقل[٤] همه وغمه، فيتفرغ

---

(١) عمر بن قيس أبو عبد الله الملائي الكوفي، سمع عكرمة مولىٰ ابن عباس، وعنه سفيان الثوري، وهو ثقة مأمون، توفي ببغداد وقيل بسجستان وقيل بالشام/ تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٣)، حلية الأولياء (٥/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه عن ابن مسعود: هناد في الزهد (٣٠٤)، الطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٥)، من طريق خالد بن يزيد العمري والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٢١، ٢٢٢)، ومسند الشهاب (٢/ ٩١)، وذكر علة التدليس، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٢١)، وقال: غريب من حديث الثوري ومن حديث الأعمش تفرد به خالد بن يزيد العمري، ومثل ذلك قال في (٧/ ١٣٠)، من حلية الأولياء، وأخرجه عن أبي سعيد الخدري، أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، تفرد به علي بن محمد ابن مروان/ وهو ضعيف، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢١)، وقال محمد بن مروان ضعيف وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧١)، وقال الألباني: موضوع، السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٧٤) ح(١٤٨٢).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ط (قلب العبد).

(٤) ط (يقلل).

لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها ، كما ذكر ابن أبي الدنيا عن بِشر بن بشّار المجاشعي[١] - وكان من العابدين قال : قلت لعابد : أوصني ، قال ألق بنفسك مع القدر حيث ألقاك ، فهو أحرىٰ أن يُفرِّغ قلبك وأن[٢] يُقلّ همك ، وإياك أن تسخط ذلك فَيَحلّ بك السخط وأنت عنه في غفلة لا تشعر به[٣][٤].

وقال بعض السلف : « ذروا التدبير والاختيار تكونوا في طيب من العيش ، فإن التدبير والاختيار يكدر علىٰ الناس عيشهم »[٥].

وقال أبو العباس بن عطاء : « الفرح[٦] في تدبير الله لنا ، والشقاء كله في تدبيرنا »[٧] .

وقال سفيان بن عيينة: «من لم يصلح[٨] علىٰ تقدير الله لم يصلح علىٰ تقدير[٩]

---

(١) بشر بن بشار المجاشعي ، كان من السائحين ، مذكور في طبقة القائمين ، كان من الزهاد والعابدين/ حلية الأولياء (١٠/ ١٣٢ ، ١٣٣).

(٢) (أن) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (فيلقيك مع الذين سخط الله عليهم).

(٤) حلية الأولياء (١٠/ ١٣٣) ، الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٧٠) رقم (٧٢).

(٥) القائل : هو أبو العباس بن عطاء كما في شعب الإيمان (١/ ٢٢٥).

(٦) الأصل (الفرج) والصحيح المثبت من أ ، ب.

(٧) في حلية الأولياء عن سهل بن عبدالله (١٠/ ١٩٦) ، شعب الإيمان عن أبي العباس بن عطاء.

(٨) ب (يصح).

(٩) الأصل (تقديره) والصحيح ما أثبته من ق ، ط وفي أ ، ب (تقدير الله بنفسه).

نفسه »[١].

أقوال مأثورة حول تعريف الرضى

وقال أبو العباس الطُّوسي[٢] : « من ترك التدبير عاش في راحة »[٣].

وقال بعضهم : لا تجد السلامة حتىٰ تكون في التدبير كأهل القبور[٤].

وقال : [الرضاء ترك الخلاف علىٰ الله[٥] فيما يجريه علىٰ العبد][٦][٧].

وقال عمر بن عبد العزيز[٨] : «لقد تركتني هؤلاء الدعوات ، وما لي في شيء

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٨).

(٢) أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ، أبو العباس ، سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبي وسرياً السقطي ، توفي في بغداد سنة ٢٩٩هـ .

شذرات الذهب (٣/ ٤١٥) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٢٥) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٠٦) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤).

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٢١٣) ونسبه السلمي للخوَّاص في المقدمة في التصوف ضمن مجموعة آثار السلمي (٢/ ٣٨٢) ، شعب الإيمان (١/ ٢٢٥) ، بلفظ «الفرح» وقال عن أبي العباس ابن عطاء ولعله هو الصحيح ؛ لأن هذا القول موجود في مصادر الترجمة لابن عطاء ، ولم أجد الطوسي ولا قوله وابن عطاء يقال له : «البغدادي» كما في التعرف (٢٧) وغيره.

(٤) القائل : هو أبو العباس بن عطاء كما في شعب الإيمان (١/ ٢٢٥) ، وفي حلية الأولياء عزاه لسهل بن عبدالله (١٠/ ١٩٦).

(٥) ط (علىٰ الرب).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ.

(٧) القائل : هو أبو العباس بن عطاء كما في شعب الإيمان (١/ ٢٢٧) ، وعن سهل في حلية الأولياء (١٠/ ١٩٦).

(٨) ط (رحمه الله).

من الأمور كلها أَرَبٌ [١]، إلا في مواقِعِ قَدَر الله [٢]، وكان كثيراً ما يدعو: اللهم رضني [٣] بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتىٰ لا أحبَّ تعجيل شيء أخَّرته، ولا تأخير شيء عجَّلته» [٤].

وقال: «ما أصبح لي هوىٰ في شيء سوىٰ ما قضىٰ الله عزَّ وجلَّ» [٥].

وقال شُعبة [٦]: «قال لي [٧] يونس بن عبيد [٨]: ما تمنيت شيئاً قط» [٩].

---

(١) أرب. الأرب: الحاجة، مختار الصحاح (ص١٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٦)، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٢٢)، المعرفة والتاريخ (١٠/ ٥٧٠).

(٣) غ (أرضني).

(٤) الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٥٢) رقم (٤٦)، شعب الإيمان (٢/ ٢٢٧).

(٥) نحوه في قوت القلوب (٢/ ٤٦)، حلية الأولياء (٥/ ٣٣٠)، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦)، الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٨٦) رقم (٩٩)، إتحاف السادة المتقين (١٢/ ٥٢٢).

(٦) شعبة بن الحجاج بن الورد، الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، قال عنه الإمام أحمد إنه من أثبت الناس، توفي سنة ١٦٠هـ.

طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠)، حلية الأولياء (٧/ ١٤٤)، تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٣).

(٧) (لي) سقطت من م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق.

(٨) يونس بن عبيد العبدي بن دينار البصري، ثقة ثبت ورع، توفي سنة ١٣٩هـ/ طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦٠)، حلية الأولياء (٣/ ١٥)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٨).

(٩) شذرات الذهب (١/ ٢٠٧)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٩) بلفظ (ما كتبت).

وقال الفضيل[١] : « الراضي لا يتمنىٰ فوق منزلته »[٢].

وقال ذو النون : « ثلاثة من أعلام التسليم : مقابلة القضاء بالرضىٰ ، والصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، وثلاثة من أعلام التفويض : تعطيل إرادتك لمراده ، والنظر إلىٰ ما يقع من تدبيره لك ، وترك الاعتراض علىٰ الحكم ، وثلاثة من أعلام التوحيد : رؤية كل شيء من الله ، وقبول كل شيء عنه ، وإضافة كل شيء إليه »[٣].

وقال بعض العارفين أصل العبادة ثلاثة[٤] : « لا ترد من أحكامه شيئاً ، ولا تسأل غيره حاجة ، ولا تدَّخر عنه شيئاً »[٥].

وسُئل ابن شمعون[٦] عن الرضىٰ؟ فقال : « أن ترضىٰ به مُدبِّراً ومختاراً[٧]، وترضىٰ عنه قاسماً ومُعطياً ومانعاً وترضاه[٨] إلهاً ومعبوداً ورباً »[٩].

---

(١) ط زيادة (بن عياض).

(٢) الرسالة القشيرية (٣٠٠) ، الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ (٣/ ٣٠) رقم (١٦) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٧) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٦).

(٣) حلية الأولياء (٩/ ٣٦٣) ، الرسالة القشيرية (٣٠٠) ، نحوه في قوت القلوب (٢/ ٤٦).

(٤) (ثلاثة) سقطت من ط.

(٥) نسبه ابن أبي الحواري إلىٰ الساجي في حلية الأولياء (٩/ ٣١٣).

(٦) ح٢ ، ش ، أ ، د ، ق (سمعون).

(٧) الأصل (أو مختاراً) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٨) ق (وترضىٰ به).

(٩) شعب الإيمان (١/ ٢٢٨).

وقال بعض العارفين : « الرضىٰ ترك الاختيار ، وسرور القلب بمرِّ القضاء ، وإسقاط التدبير من النفس ، حتىٰ يحكم الله لها أو عليها »[1][2].

وقيل : « الراضي من لم يندم علىٰ فائت من الدنيا ، ولم يتأسف عليها»[3].

ولله در[4] القائل :

العبدُ ذو ضَجَرٍ والرَّب ذُو قَــدَرٍ والدَّهرُ ذُو دُوَلٍ والرِّزْق مَقْسُوم
والخيرُ أَجمَعُ فيما اختَار خالِقُنا وفي اختيار سِواه اللَّوم والشُّوم[5]

السابع والخمسون : أنه إذا لم يرض بالقدر وقع في لوم المقادير ، إما بقالبه ، وإما بقلبه وحاله ، ولوم المقادير لوم لمقَدِّرها ، وكذلك يقع في لوم الخلق ، والله والناس يلومونه[6] فلا يزال[7] لائماً ملوماً ، وهذا مناف للعبودية.

قال أنس[8] : «خدمت رسول الله ﷺ عَشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته : لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته؟ ولا قال لشيء ليته لم يكن ، ولا لشيء

---

(١) الأصل (وعليها) والأقرب ما أثبته من ب ، غ ، ط.

(٢) القائل : هو ابن الفرجي ، كما في شعب الإيمان (١/ ٢٢٨).

(٣) القائل : هو أبو عثمان البيكندي كما في شعب الإيمان (١/ ٢٢٨).

(٤) (ولله در) سقطت من ش ، ق.

(٥) عزاه في شعب الإيمان (١/ ٢٣٣) ، لأبي الفوارس جنيد بن أحمد الطبري.

(٦) غ (ويلومه) و أ ، ب (يلومه) و ط (يلومون).

(٧) د (يراك).

(٨) ط زيادة (رضي الله عنه).

لم يكن : ليته كان ، وكان بعض أهله إذا لامني يقول: دَعوه لو[1] قُضي لكان»[2].

وقوله «**لو قضي شيء لكان**» يتناول أمرين :

أحدهما : ما لم يوجد من مراد العبد .

والثاني : ما وجد مما يكرهه[3] يتناول فوات المحبوب ، وحصول المكروه، فلو قضي الأول لكان ، ولو قضي خلاف الآخر لكان ، فإذا استوت الحالتان بالنسبة إلىٰ القضاء ، فعبودية العبد : [أن يستوي عنده الحالتان بالنسبة إلىٰ رضاه][4]، وهذا موجب العبودية ومقتضاها، يوضحه :

الثامن والخمسون : أنه إذا استوىٰ الأمران بالنسبة إلىٰ رضىٰ الرب تعالىٰ ، فهذا رضيه لعبده فقدره ، وهذا لم يرضه له فلم يقدره ،[5] فكمال الموافقة : أن يستويا بالنسبة إلىٰ العبد ، فيرضىٰ ما رضيه له ربه في الحالين.

التاسع والخمسون : أن الله[6] نهىٰ عن التقدُّم بين يديه ويدي رسوله في

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (فلو).

(٢) أول الحديث في البخاري. الأدب (٤/ ٩٨) ح(٦٠٣٨) ، مسلم. الفضائل (٤/ ١٨٠٤) ح(٢٣٠٩) ، والحديث كله : عند أحمد (٣/ ١٠١) ، وعبد الرزاق في المصنف (٩/ ٤٤٣) بلفظ (ما قدر فهو كائن) ، وفي الأحاديث المختارة للمقدسي (٥/ ٢٠٦) نحوه.

(٣) ط زيادة (وهو) و م زيادة (مما).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ .

(٥) ش (وكمال).

(٦) ط زيادة (تعالىٰ).

حُكمه الديني الشرعي ، وذلك عبودية هذا الأمر ، فعبودية أمره الكوني القدري : أن لا يتقدم بين يديه إلىٰ حيث كانت المصلحة الراجحة في ذلك ، فيكون التقدم أيضاً بأمره[1] الكوني والديني ، فإذا كان فرضُه الصبر و[2] ندبه ، أو فرضه الرضىٰ حتىٰ ترك ذلك : فقد تقدم بين يدي شرعه وقدره.

الستون : أن المحبة والإخلاص والإنابة : لا تقوم إلا علىٰ ساق الرضىٰ.

فالمحب راضٍ عن حبيبه في كل حالة ، وقد كان عِمران بن حصين[3] استُسْقِي[4] بطنه ، فبقي ملقىٰ علىٰ ظهره مدة طويلة ، لا يقوم ولا يقعد ، وقد نُقِب له في سريره موضع لحاجته ، فدخل عليه مُطرِّفُ بن عبد الله ابن[5] الشِّخِّير[6] ، فجعل يبكي لما رأىٰ من حاله ، فقال[7] : لم تبكي؟ فقال : لأني

---

(١) الأصل (بأمره أيضاً) والصحيح ما أثبته من ط ، ب ، غ.

(٢) ط (أو) بإثبات الألف.

(٣) ط زيادة (رضي الله عنه) ، وهو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، القدوة الإمام صاحب رسول الله ﷺ، يكنىٰ أبا نجيد الخزاعي ، أسلم هو وأبو هريرة في وقت واحد سنة سبع للهجرة ، وله عدة أحاديث ، توفي سنة ٥٢هـ/ طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٧) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٠٨) ، المعارف (٣٠٩) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٨).

(٤) استسقي : أي حصل فيه الماء الأصفر ، لسان العرب ١٤/ ٣٩٤.

(٥) (ابن) سقطت من ط.

(٦) مطرف بن عبد الله بن الشخير ، الإمام القدوة الحجة ، حدث عن أبيه وعلي وعمار وأبي ذر رضي الله عنهم ، وعنه الحسن البصري وغيره ، توفي سنة ٨٦هـ/ طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٠) ، شذرات الذهب (١/ ١١٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (له عمران).

أراك علىٰ هذه الحال العظيمة[1] فقال : لا تبك ، فإن أحبَّه إليَّ أحبّه إليه ، وقال: أخبرك بشيء ، لعل الله أن ينفعك به ، واكتم عليَّ حتىٰ أموت ، إن الملائكة تزورني فآنس بها ، وتسلم عليَّ فأسمع تسليمها[2].

ولما قدم سعد بن أبي وقاص[3][4] إلىٰ مكة - وقد كُفَّ بصره - جعل الناس يُهرعون إليه ليدعو لهم ، فجعل يَدْعو لهم ، قال عبد الله بن السائب[5] : فأتيته وأنا غُلام ، فتعرفتُ إليه ، فعرفني ، فقلت : يا عم ، أنت تدعو للناس[6] ، فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك ، فتبسم ، ثم قال : يا بني ، قضاء الله عندي[7] أحبُّ إليَّ من بَصري[8].

---

(١) ط (الفظيعة).

(٢) قوت القلوب ٢/ ٤٩ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٩ ، الرضا لابن أبي الدنيا ـ الموسوعة ـ ٣/ ٦٤ رقم ٦٠ ، ٦١ ، إتحاف السادة المتقين ١٢/ ٥٣٧.

(٣) سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن كعب بن لؤي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورىٰ وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلىٰ الإسلام، توفي سنة ٥٦هـ وقيل : ٥٧هـ/ سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢) ، التاريخ الكبير (٤/ ٤٣) ، تاريخ بغداد (١/ ١٤٤).

(٤) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٥) عبدالله بن السائب القرشي المخزومي المكي ، مقرئ مكة ، وله صحبة ورواية ، وهو من صغار الصحابة ، توفي في إمارة عبد الله بن الزبير/ طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٥) ، أسد الغابة (٣/ ٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٨).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (فيشفون).

(٧) (عندي) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د.

(٨) قوت القلوب ٢/ ٥٠ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٠ ، إتحاف السادة المتقين١٢/ ٥٣٩ ، وورد آخره من قول عبدالله في شعب الإيمان ١/ ٢٢٣.

وقال بعض العارفين : ذنب أذنبته ، أنا أبكي عليه ثلاثين سنة ، قيل وما هو؟ قال : قلت لشيء كان[1] ليته لم يكن[2].

وقال بعض السلف : « لو قُرِّض جسمي[3] بالمقاريض كان أحب إليَّ من أن أقول لشيء قضاه الله : ليته لم يقضه »[4].

وقيل لعبد الواحد بن زيد : ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة ، فقصده ، فقال[5] : حبيبي ، أخبرني عنك ، هل قنعت به؟ قال : لا ، قال : فهل أنست به؟ قال : لا ، قال : فهل رضيت عنه؟ قال : لا قال : فإنما مزيدك منه الصوم الصلاة؟ قال : نعم ، قال : لولا أني أستحي منك لأخبرتك : أن معاملتك خمسين سنة مَدْخولة[6].

يعني أنه لم يُقرِّبه فيجعله في مقام المقربين ، فيوجده مواجيد العارفين ، بحيث يكون مزيده لديه : أعمال القلوب ، التي يستعمل بها كل محبوب

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط(قضاه الله ليته لم يقضه) ، والمثبت موافق للقوت أيضاً.

(٢) قوت القلوب ٢/ ٥٠ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٠ ، إتحاف السادة المتقين ١٢/ ٥٣٩ ، ونحوه في إحياء علوم الدين عن ابن مسعود ٤/ ٣٤٦ ، والزهد لابن المبارك ٣١ ، آخره في شعب الإيمان عن عبدالله بن مسعود ١/ ٢٢٣.

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (لحمي).

(٤) قوت القلوب ٢/ ٥٠ وعزاه لبعض السلف في إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٠ ونحوه عن ابن مسعود في إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦) ، حلية الأولياء (١/ ١٢٤).

(٥) ط زيادة (له).

(٦) قوت القلوب ٢/ ٥٠ ، إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٠ ، حلية الأولياء ٦/ ١٦٣.

مطلوب ؛ لأن القناعة به[١] حال الموقن[٢]، والأنس به: مقام المحب ، والرضىٰ : وصف المتوكل ، يعني أنت عنده في طبقات أصحاب اليمين ، فمزيدك عنده مزيد العموم من أعمال الجوارح.

وقوله : «إن معاملته مدخولة» يحتمل وجهين :

أحدهما : أنها ناقصة عن أعمال[٣] المقربين التي أوجبت لهم هذه الحال.

الثاني : أنها لو كانت صحيحة سالمة ، لا علة فيها[٤] لأثمرت له الأنس والرضىٰ والمحبة ، والأحوال العلية ، فإن الرب تعالىٰ شكور ، إذا وصل إليه عمل عبده جمَّل به ظاهره وباطنه ، وأثابه عليه من حقائق المعرفة والإيمان بحسب عمله ، فحيث لم يجد له أثراً في قلبه ، من الأنس والرضىٰ والمحبة : استدل علىٰ أنه مدخول ، غير سالم من الآفات.

الحادي[٥] **والستون**: أن أعمال الجوارح تضاعف إلىٰ حد معلوم محسوب، وأما أعمال القلوب : فلا ينتهي تضعيفها ، وذلك أنَّ[٦] أعمال الجوارح : لها حدٌّ تنتهي إليه ، وتقف عنده ، فيكون جزاؤها بحسب حدها ، وأما أعمال

---

(١) (به) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٢) د ، ق (الموفق).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (معاملة).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (ولا غش).

(٥) (الحادي) طمس من أ.

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (لأن).

القلوب : فهي دائمة متصلة ، وإن توارىٰ شهود العبد لها[1][2].

مثاله : أن المحبَّة والرضىٰ حال المحب الراضي ، لا تفارقه أصلاً ، وإن توارىٰ حكمها ، فصاحبها في مزيد متصل ، فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له ، فهو في مزيد ، ولو فترت جوارحه ؛ بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل بما لا[3] نسبة بينهما، ويبلغ ذلك بصاحبه إلىٰ أن يكون مزيده في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام [وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع][4].

فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله ، وقيام غافل عن الله ، فالله سبحانه[5] ينظر إلىٰ القلوب ، والهمم والعزائم ، لا إلىٰ صور الأعمال ، وقيمة العبد : هِمّته وإرادته ، فمن لا يرضيه غير الله - ولو أعطي الدنيا بحذافيرها - له شأن ، ومن يرضيه أدنىٰ حظ من حظوظها له شأن ، وإن كانت أعمالهما في الصورة واحدة ، وقد تكون أعمال هذا[6] أكثر وأشق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،

---

(١) ح٢ (عنها).

(٢) كأنه يشير إلىٰ أن الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف فيما يخص مضاعفة أعمال الجوارح.

(٣) ط (يترك).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ش.

(٥) ط زيادة (إنما).

(٦) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د زيادة (أعمال الملتفت إلىٰ الحظوظ).

والله ذو الفضل العظيم.

وقد اختلف أرباب هذا الشأن في مسألة، وهي: هل للرِّضىٰ حَدٌّ ينتهي إليه؟ أم لا[١] فقال أبو سليمان الدّاراني: ثلاث[٢] مقامات لا حد لها: الزهد، والورع، والرضىٰ، و[٣]خالفه سليمان ابنه - وكان عارفاً، حتىٰ أن من[٤] الناس من كان يقدِّمه علىٰ أبيه - فقال: بل[٥] من تورع في كل شيء: فقد بلغ حد الورع، ومن زهد في غير الله: فقد بلغ حد الزهد، ومن رضي عن الله في كل شيء: فقد بلغ حد الرضىٰ[٦].

وقد اختلفوا في مسألة تتعلق بذلك، وهي أهل مقامات ثلاثة:

أحدهم: يُحبُّ[٧] الموت شوقاً إلىٰ الله ولقائه.

والثاني: يحب البقاء للخدمة والتقرب.

الثالث قال[٨]: لا أختار[٩]، بل أرضىٰ بما يختار لي مولاي، إن شاء أحياني،

---

(١) (أم لا) سقطت من س، غ.

(٢) ط (ثلاثة).

(٣) (الواو) سقطت من ش.

(٤) أ، ب، غ (في) بدل (عن).

(٥) (بل) سقطت من م.

(٦) الرضىٰ عن الله بقضائه. لابن أبي الدنيا (٢/ ١١٥)، حلية الأولياء (٩/ ٢٥٨).

(٧) م، أ، غ، ح٢، ب (أن يحب).

(٨) ط (قال الثالث).

(٩) ق زيادة (شيئاً).

وإن شاء أماتني.

فتحاكموا إلىٰ بعض العارفين : فقال : صاحب الرضىٰ أفضلهم ؛ لأنه أقلهم فضولاً[1] [2].

مقام الرضى فوق مقام الشوق والزهد

ولا ريب أن مقام الرضىٰ فوق مقام الشوق والزهد في الدنيا.

بقي النظر في مقامي الآخرين : أيهما أعلىٰ؟.

فرجحت طائفة مقام من أحب الموت ؛ لأنه في مقام الشوق إلىٰ لقاء الله و محبة لقائه ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

ورجحت طائفة مقام مريد البقاء لتنفيذ أوامر الرب تعالىٰ.

واحتجوا بأن الأول محب لحظه من الله ، وهذا محب لمراد الله منه ، لم يشبع منه ولم يقض منه[3] وطراً.

قالوا : وهذه حال موسىٰ - صلوات الله وسلامه عليه - حيث لطم وجه ملك الموت ففقأ عينه [4] ، لا محبة للدنيا ، ولكن لتنفيذ أوامر ربه ، ومراضيه في الناس ، فكأنه قال : أنت عبده وأنا عبده ، وأنت في طاعته ، وأنا في طاعته

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (وأقربهم إلىٰ السلامة) و ط (أقرب..).

(٢) لم أجده.

(٣) (منه) سقطت من د.

(٤) الحديث في البخاري. الأنبياء (٢/ ٤٧٨) ح(٣٤٠٧) ، مسلم (٤/ ١٨٤٢) ح(٢٣٧٢) ، أحمد (٢/ ٣١٥).

وتنفيذ أوامره.

وحينئذ فنقول في الوجه الثاني والستين[1] : إن حال الراضي المسلِّم ينتظم حاليهما[2] جميعاً ، مع زيادة التسليم ، وترك الاختيار ، فإنه قد غاب بمراد ربه منه - من إحيائه وإماتته - عن مراده هو من هذين الأمرين ، وكل محب فهو مشتاق إلىٰ لقاء حبيبه ، مؤثِرٌ لمرضاته[3] فقد أخذ بزمام كل من المقامين ، واتصف بالحالين ، وقال : «أحب ذلك إليَّ أحبه إليه» لا أتمنىٰ غير رضاه ، ولا أتخير عليه إلىٰ ما يحبه ويرضاه ، وهذا القدر كافٍ في هذا الموضع ، وبالله التوفيق.

فلنرجع إلىٰ شرح كلامه ، قال :

«الثَّاني : سُقُوطُ الخُصُومَةِ مَع[4] الخَلْقِ».

يعني أن «الرضىٰ» إنما يصح بسقوط الخصومة مع الخلق ، فإن الخصومة تنافي حال الرضىٰ ، وتنافي نسبة الأشياء كلها إلىٰ من بيده أزمة القضاء والقدر، ففي الخصومة آفات.

أحدها : المنازعة التي تضاد[5] الرضىٰ.

---

(١) الأصل وغيرها (والستون) والصحيح ما أثبته من ط.

(٢) ش ، ح٢ (حالهما).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (لمراضيه).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط (عن).

(٥) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (تحاد).

الثاني : نقص التوحيد بنسبة ما يخاصم فيه إلىٰ[1] العبد دون الخالق[2].

الثالث : نسيان الموجب والسبب الذي جرَّ إلىٰ الخصومة ، فلو رجع العبد إلىٰ السبب والموجب لكان اشتغاله بدفعه أجدىٰ إليه[3] وأنفع له من خصومة من جرىٰ علىٰ يديه ، فإنه - وإن كان ظالماً - فهو الذي سلطه علىٰ نفسه بظلمه، قال[4] تعالىٰ : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران :١٦٥] ، فأخبر أن أذىٰ عدوهم لهم ، وغلبتهم[5] بسبب ظلمهم وقال الله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ :٣٠].

فإذا اجتمعت بصيرة العبد علىٰ مشاهد القدر والتوحيد والحكمة والعدل : انسد عنه باب خصومة الخلق ، إلا فيما كان حقاً لله ورسوله ، فالراضي لا يُخاصم ولا يعاتب فيما يتعلق بحق الله ، وهذه كانت حال رسول الله ﷺ ، فإنه لم يكن يخاصم أحداً ولا يعاتبه إلا فيما يتعلق بحق الله ، كما أنه كان[6] لا يغضب لنفسه ، فإذا انتهكت محارم الله لم يَقُم لغضبه شيء حتىٰ ينتقم لله[7] ،

---

(١) ح٢ (فيه العبد).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (لكل شيء).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (عليه).

(٤) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٥) ط زيادة (لهم إنما هو).

(٦) (كان) سقطت من ش.

(٧) كما في البخاري. المناقب (٢/ ٥١٨) ح(٣٥٦٠) ، مسلم. الفضائل ٠(٤/ ١٨١٣) ح(٢٣٢٧) ، أبو داود. الأدب (٥/ ١٢٤) ح(٤٧٨٥).

فالمخاصمة لحظ النفس تطفئ نور الرضىٰ، وتُذهب بَهْجته، وتبدل بالمرارة حلاوته[1] وتكدر صفوه.

[2] «الشَّرطُ الثَّالِثُ: الخَلاَصُ مِن المسْأَلَةِ لهُم[3]، وَالإِلْحَاحِ».

وذلك لأن المسألة والإلحاح[4] فيها ضرب من الخصومة، والمنازعة والمحاربة، والرجوع عن مالك الضر والنفع إلىٰ من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بربه، وفيها[5] الغيبة عن المعطي المانع.

والإلحاح ينافي حال الرضىٰ ووصفه، وقد أثنىٰ[6] سبحانه علىٰ الذين لا يسألون الناس[7]، فقال الله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ[8] يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ[9] مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) أ، ب، غ (حلاوته المرارة).

(٢) ط (قال).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق (للخلق) بدل لهم.

(٤) (الإلحاح) سقطت من ط.

(٥) أ، ب، غ (فيهما).

(٦) ط زيادة (لفظ الجلالة).

(٧) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق زيادة (إلحافاً).

(٨) أول الآية سقط من م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق حتىٰ (يحسبهم).

(٩) أ، ح٢ (قال هنا: إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾).

فقالت طائفة : يسألون الناس ما تدعو حاجتهم إلىٰ سؤاله ، ولكن لا يلحفون ، فنفىٰ الله عنهم سؤالهم الإلحاف ، لا مطلق السؤال.

قال ابن عباس : إذا كان عنده غداء لم يسأل عشاء ، وإذا كان عنده عشاء لم[1] يسأل غداء[2].

وقالت طائفة - منهم الزَّجاج[3] ، والفراء[4] وغيرهما - بل الآية اقتضت ترك السؤال مطلقاً ؛ لأنهم وُصِفوا بالتعفف ، والمعرفة بسيماهم ، دون الإفصاح بالمسألة ؛ لأنهم لو أفصحوا بالسؤال لم يحسبهم الجاهل أغنياء[5].

تفسير ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾

ثم اختلفوا في وجه قوله[6] : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

فقال الزَّجاج: المعنىٰ لا يكون منهم سؤال، فيقع إلحاف[7]، كما قال تعالىٰ:

---

(١) ش (لا).

(٢) نسبه البغوي في تفسيره لعطاء ١/ ٢٥٩ ، وفي تفسير الواحدي ١/ ١٩١ ، من غير عزو.

(٣) الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي ، مصنف كتاب « معاني القرآن» ، توفي سنة ٣١١هـ/ تاريخ بغداد (٦/ ٨٩) ، الكامل في التاريخ (٨/ ١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء ، الكوفي النحوي صاحب الكسائي ، توفي سنة ٢٠٧هـ/ تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨).

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٧ ، المحرر الوجيز ٢/ ٣٤١.

(٦) ط زيادة (تعالىٰ).

(٧) زاد المسير ١/ ٣٢٩ ، المحرر ٢/ ٢٤١ ، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٥٧ ، تفسير البغوي ١/ ٢٥٩ ، معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٠٤.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر :٤٨] ، أي لا تكون شفاعة فتنفع ، و[1] قوله : ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة :١٢٣]، أي لا يكون عدل فيقبل، ونظائره ، قال امرؤ القيس[2] :

علىٰ لاحبٍ[3] لا يُهْتدىٰ لمناره[4]

أي ليس له[5] منار يُهتدىٰ به[6] ، قال ابن الأنباري[7] ، وتأويل الآية : لا يسألون البتَّة ، فيخرجهم السؤال في بعض الأوقات إلىٰ الإلحاف ، فجرىٰ[8] هذا مجرىٰ قولك : فلان يُرجىٰ خيره ، أي ليس له خير فيُرجىٰ[9].

---

(١) ط زيادة (وكما في).

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، يكنىٰ أبا الحارث ، وقيل : أبو وهب ، وقيل : أبو يزيد ، صاحب أحد المعلقات السبع ، ولد حوالى سنة ٥٠٠م ، وتوفي سنة ٥٤٠م . / البداية والنهاية (٢/ ٢١٨-٢٢٠) ، الأغاني (٨/ ٦٢).

(٣) لاحب : اللاحب الطريق الواضح ، لسان العرب ١/ ٧٣٧.

(٤) ديوان امرؤ القيس ٩٥.

(٥) (له) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٦) الأصل (له) والأقرب ما أثبته من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ش ، ط.

(٧) محمد بن جعفر بن محمد الأنباري ، شيخ من علماء الحديث ، ولد سنة ٢٦٧هـ ، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ/ سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١) ، تاريخ بغداد (٢/ ١٥٠).

(٨) أ ، ب ، غ (فيجري).

(٩) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٥٧ ، الرازي في التفسير ٤/ ٨٨ ، زاد المسير ١/ ٣٢٩ ، ونقله ابن عطية عن الطبري والزجاج في المحرر ٢/ ٣٤٠.

وقال أبو علي : لم يثبت في هذه الآية مسألة منهم ، لأن المعنىٰ : ليس منهم مسألة ، فيكون منهم إلحاف[١] ، قال : ومثل ذلك قول الشاعر[٢] :

لا يُفزع الأرنـب أهوالهـا ولا ترىٰ الضَّبَّ بها ينْجَحـر[٣]

أي ليس بها أرنب فيفـزع[٤] لهولها ، ولا ضب فينجحـر

وقال الفراء: «نفىٰ الإلحاف عنهم ، وهو يريد نفي جميع وجوه[٥] السؤال»[٦].

فصـــل[٧]

«والمسألة» في الأصل حرام[٨] ، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة ؛ لأنها حكم ظلم في حَقِّ الربوبية ، وظلم في حَقِّ المسؤول ، وظلم في حق السائل. المسألة

أما الأول[٩] : فلأنه بذل سؤاله وفقره وذلَّه واستعطاءه لغير الله ، وذلك نوع

---

(١) نحوه في معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٥٧ ، وتفسير الرازي ٤/ ٨٨ ، الكشاف ١/ ٣٩٨.

(٢) الشاعر : لم أجده.

(٣) بيت الشعر : ذكر شطر البيت أبو السعود في تفسيره ٢/ ٩٨ ، ٨/ ١٩٢.

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب (فتفزع) ، وفي ط (فتفزغ).

(٥) (وجوه) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق.

(٦) تفسير الرازي ٤/ ٨٨ ، الكشاف ١/ ٣٩٨ ، زاد المسير نحوه ١/ ٣٢٨ وبنحوه في روح المعاني ٣/ ٤٧.

(٧) في ط (حكم المسألة).

(٨) حكم المسألة : أي سؤال الناس أموالهم ، ومن مواضع بحثها المغني (١٤/ ١٦٩) ، نهاية المحتاج (٦/ ١٦٩) ، طبعة مصطفىٰ الحلبي (١٣٨٦).

(٩) ح٢ (الأولىٰ).

عبودية ، فوضع المسألة في غير موضعها ، وأنزلها بغير أهلها ، وظلم توحيده وإخلاصه ، وفقره إلىٰ الله ، وتوكله عليه ورضاه بقسمه ، واستغنىٰ بسؤال الخلق[١] عن مسألته[٢] ، وذلك كله هضم[٣] من[٤] التوحيد ، ويطفئ نوره ويضعف قوته.

وأما ظلمه للمسؤول : فلأنه سأله ما ليس عنده ، فأوجب له بسؤاله عليه حقاً لم يكن له عليه ، وعرضه[٥] لمشقة البذل ، أو[٦] لَوْم المنع ، فإن أعطاهُ أعطاهُ علىٰ كراهة ، وإن منعه منعه علىٰ استحياء[٧] ، هذا إذا سأله ما ليس عليه ، وأما إذا سأله حقاً هو له عنده : لم[٨] يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله.

وأما ظلمه لنفسه : فإنه[٩] أراق ماء وجهه ، وذَلَّ لغير خالقه ، وأنزل نفسه أدنىٰ المنزلتين ، ورضيَ لها بأبخس[١٠] الحالتين ، ورضي بإسقاط شرف نفسه ،

---

(١) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق (الناس) ، بدل (الخلق).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق (رب الناس).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ق (يهضم).

(٤) ط زيادة (حق).

(٥) (وعرضه) سقط من ق.

(٦) أ ، ب ، غ (ولوم) بدون ألف.

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق زيادة (وإغماض).

(٨) ط (فلم).

(٩) أ (فإنما).

(١٠) بأبخس: البخس: النقص، والقصد هو الذي (لا بخس فيه ولا شطط)، مختار الصحاح (٤٢).

وعزة تعففه ، وراحة قناعته، وباع صبره ورضاه، وتوكله ، قناعته[1] بما قسم له ، واستغناه[2] عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، إذ وضعها في غير موضعها ، وأخمل[3] شرفها وأوضع قدرها ، وأذهب عزها ، وصغَّرها وحقرها، ورضي أن تكون نفسه تحت نفس المسؤول ، ويده تحت يده ، ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر[4]، قال : قال رسول[5] ﷺ: **«ما يزال الرجلُ يسأل الناس حتىٰ يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعَةُ لحَم»**[6].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، قال : قال رسول الله ﷺ: **«من سأل الناس أموالهم تكثُّراً ، فإنما يسأل جمراً ، فليستقلّ أو ليستكثر»**[7].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أن رسول الله ﷺ قال : **«والذي نفسي بيده ، لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب علىٰ ظهره ،** [8] **خير له**

---

(١) ط (وقناعته).

(٢) أ ، ب ، غ ، د ، (استغناؤه) ، ط (استغناء).

(٣) أخمل : الخامل : الساقط الذي لا نباهة له ، مختار الصحاح (١٩١).

(٤) ط زيادة (رضي الله عنهما).

(٥) ش زيادة (النبي).

(٦) تقدم تخريجه ص ١٧٨٦.

(٧) مسلم. الزكاة (٢/ ٧٢٠) ح(١٠٤١).

(٨) د ، ش زيادة (فيتصدق به علىٰ الناس).

من أن يأتي رجلاً فيسأله ، أعطاه أو منعه»[١].

[وفي صحيح مسلم عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يغدو أحدكم، فيحتطب علىٰ ظهره ، فيتصدق به ، ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه][٢] ، ذلك بأن اليد العليا أفضل[٣] من اليد السفلىٰ ، وابدأ بمن تعول» زاد الإمام أحمد : «ولأن يأخذ تراباً فيجعله في فيه : خير له من أن يجعل في فيه ما حرَّم الله[٤] عليه»[٥].

وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام[٦] ، عن النبي ﷺ قال : «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمةٍ من الحطب علىٰ ظهره ، فيبيعها ، فيكُفَّ الله[٧] وجهه : خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[٨].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : أن أناساً من

---

(١) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧٠) ، مسلم. الزكاة (٢/ ٧٢١) ح(١٠٤٢) بلفظ « لأن يغدو » ، أحمد (٢/ ٤٧٥).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من د ، ش.

(٣) أ ، ب ، غ ، ط (خير) وهو خلاف الأصل وما في مسلم.

(٤) (لفظ الجلالة) سقط من ش.

(٥) مسلم. الزكاة (٢/ ٧٢١) ح(١٠٤٢)، الترمذي. الزكاة (٣/ ٥٥) ح(٦٨٠) وقال حسن غريب أحمد (٢/ ٢٥٧) مع الزيادة ، البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧٠) بلفظ «لأن يأخذ » .

(٦) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٧) (لفظ الجلالة) سقط من ب.

(٨) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧١).

الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتىٰ نفد ما عنده، فقال لهم - حين أنفق كل شيء بيده -: « **ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف[1] يُعِفُّه الله، ومن يتصبَّر[2] يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً[3] وأوسع من الصبر**»[4].

وعن عبد الله بن عمر[5] - رَضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال - وهو علىٰ المنبر وذَكر الصدقة والتعفُّف والمسألة -: «**اليد العليا خير من اليد السُّفلىٰ، فاليد العليا[6] المنفقة، واليد السفلىٰ: هي[7] السائلة**» رواه البخاري ومسلم[8].

وعن حكيم بن حزام[9] قال: سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم[10] قال: « **يا حكيم، إنَّ هذا المال خَضِرة حُلوة، فمن أخذه**

---

(١) الأصل (يستعف) والصحيح ما أثبته من م، أ، غ، ح٢، ب والبخاري ومسلم وأحمد.

(٢) ش (يصبر).

(٣) ق (له).

(٤) تقدم تخريجه ص١٨٤٢.

(٥) م، أ، غ، ح٢ (عامر) وهو خلاف الصواب.

(٦) (هي) في م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق والبخاري زيادة (هي).

(٧) (هي) ليست في مسلم.

(٨) تقدم تخريجه ص١٧٨٦.

(٩) ط زيادة (رضي الله عنه).

(١٠) (ثم) سقطت من ش.

بسخاوة نفسٍ بُورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ» قال حكيم فقلت : «يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لا أرزأ[1] أحداً بعدك شيئاً حتىٰ أفارق الدنيا[2] ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً إلىٰ العطاء فيأبىٰ أن يقبله منه ، ثم إن عمر - رضي الله عنه - دعاهُ ليعطيه فأبىٰ أن يقبل منه شيئاً ، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين علىٰ حكيم : إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء ، فيأبىٰ أن يأخذه ، فلم يرزأ حكيم[3] أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتىٰ توفي متفق علىٰ صحته[4].

[5] وعن الشعبي[6] قال : حدثني كاتب المغيرة بن شعبة[7] قال : كتب مُعاوية

---

(١) أرزأ : رزأ فلان فلاناً برّه ، ومنها انتقص ، وأصاب منه خيراً ، لسان العرب (١/ ٨٥).

(٢) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧٢) ، مسلم. الزكاة (٢/ ٧١٧) ح(١٠٣٤) ، أحمد (٣/ ٩١) ، (٤/ ٩٢ - ٩٤).

(٣) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٤) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧٢) ، مسلم. الزكاة (٢/ ٧١٧) ح(١٠٣٥) ، أحمد (٤/ ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤).

(٥) د ، ط زيادة (وروي).

(٦) عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار ، علامة العصر في زمانه ، يكنىٰ أبا عمرو الهمذاني ثم الشعبي ، قيل إنه ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل سنة ٣٢هـ ، حدث عن جمع من الصحابة وعنه مكحول ، وعطاء بن السائب وغيرهم ، توفي سنة ١٠٥هـ/ طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦) ، المعارف (٤٤٩) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤) ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

(٧) كاتب المغيرة ، اسمه «وراد» والمغيرة هو المغيرة بن شعبة الصحابي المشهور ، سمع المغيرة

إلىٰ المغيرة بن شعبة[١] : أن اكْتُبْ إليَّ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فكتب إليه: سمعت النبي[٢] ﷺ يقول : « **إن الله كره لكم[٣] ثلاثاً[٤] ، قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال** » ، رواه البخاري ومسلم[٥].

وعن معاوية[٦] – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تُلْحِفوا في المسألة ، فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئاً ، فتُخرج له مسألته منّي شيئاً وأنا[٧] كاره ، فيُبارك له فيما أعطيته** »[٨].

وروىٰ عنه المسيب بن رافع وعبد الملك بن عمير/ تاريخ بغداد (٨/ ١١١) ، التاريخ الكبير (٨/ ١٨٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٢) ، وفي حلية الأولياء (٥/ ١٧٦) اسمه «رواد».

(١) المغيرة بن شعبة ابن أبي عامر بن مسعود ، من كبار الصحابة ، شهد بيعة الرضوان ، توفي سنة ٥٠ هـ/ طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٤) ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٤) ، تاريخ بغداد (١/ ١٩١) ، أسد الغابة (٤/ ٤٠٦) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١).

(٢) ش (رسول الله) بدل (النبي).

(٣) (لكم) سقط من أ ، ب ، غ.

(٤) (ثلاثاً) طمس من أ.

(٥) البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٧) ح(١٤٧٧) ، مسلم. الأقضية (٣/ ١٣٤١) ح(١٧١٥) ، أحمد (٤/ ٢٤٦).

(٦) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أبو عبد الرحمن الخليفة الصحابي ، أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ، توفي في رجب سنة ٦٠ هـ/ التقريب (٢/ ٢٥٩) ، طبقات ابن سعد (٣/ ٢٣) ، التاريخ الكبير (٧/ ٣٢٦) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٥) ، تاريخ بغداد (١/ ٢٠٧).

(٧) أ ، د ، ط زيادة (له).

(٨) مسلم. الزكاة (٢/ ٧١٨) ح(١٠٣٨) ، صحيح النسائي. الزكاة (٢/ ٢٢٦) ح(٢٥٩٢) ، أحمد (٤/ ٩٨).

وفي لفظ «**إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيُبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشَرَهٍ كان كالذي يأكل ولا يشبع**» رواه مسلم[١].

وعن أبي مسلم الخولاني[٢] رضي الله عنه قال: حدثني الحبيب الأمين - أما هو: فَحبيب إليَّ، وأما ما هو عندي: فأمين، عوف بن مالك الأشجعي[٣] - قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة - أو ثمانية، أو سبعة - فقال: «**ألا تبايعون رسول الله؟**» - وكنا حديثي[٤] عهد ببيعة[٥] - فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال[٦]: «**ألا تبايعون رسول الله؟**» فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «**ألا تبايعون رسول الله؟**» قال: فبَسَطْنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «**أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا**[٧] - **وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً**»،

---

(١) سبق في نفس الموضع من صحيح مسلم ومسند أحمد في ص٢٠٢١.

(٢) أبو مسلم الخولاني، عبد الله بن ثوب وقيل ثواب، الداراني، سيد التابعين وزاهد العصر، قدم من اليمن، أسلم في أيام الرسول ﷺ ودخل المدينة في خلافة الصديق، حدث عن عمر ومعاذ وأبي ذر وغيرهم، توفي سنة ٦٢ هـ/ طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٨)، حلية الأولياء (٢/ ٢٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٧).

(٣) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٤) م، أ، غ، ح٢، ب، د (حديث).

(٥) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ط (ببيعته) وهو خلاف ما في مسلم.

(٦) الأصل (فقال) والمثبت من بقية النسخ ومسلم.

(٧) ط زيادة (لفظ الجلالة).

فلقد رأيتُ بعض أولئك النَّفر يسقُط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناولُهُ إياه» رواه مسلم[١].

وعن سمُرة بن جُندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ المسألة كدٌّ يَكُد بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً، أو في أمر لا بدَّ منه»** رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[٢].

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن عقبة الفزاري[٣]، قال: دخلت علىٰ الحجاج بن يوسف[٤]، فقلت: أصلح الله الأمير، ألا أحدثك حديثاً سمعته من سَمُرة ابن جُندب عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلىٰ، قال سمعته يقول: **«المسائل كدٌّ يكدّ بها الرّجُل وجهه، فمن شاء أبقىٰ علىٰ وجهه، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل رجلاً ذا سلطان، أو يسأل في أمر لا بد منه»**[٥].

---

(١) سبق تخريجه ص١٧٨٥.

(٢) سبق تخريجه ص١٧٨٧.

(٣) زيد بن عقبة الفزاري الكوفي، روىٰ عن سمرة بن جندب، وعنه ابنه سعيد وعبد الملك بن عمير ومعين بن خالد، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات/ تهذيب التهذيب (٣/ ٤١٩)، الثقات لابن حبان (٤/ ٢٤٧)، التاريخ الكبير (٣/ ٤٠٢).

(٤) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ق، ط زيادة (الثقفي) وهو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان ذا شجاعة وإقدام وفصاحة وكان ظلوماً جباراً سفاكاً للدماء، ولي العراق عشرين سنة، توفي سنة ٩٥هـ/ المعارف (٣٩٥)، تاريخ ابن الأثير (٤/ ٥٨٣)، العبر (١/ ١١٢)، البداية والنهاية (٩/ ١١٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣).

(٥) أحمد (٥/ ١٠)، صحيح النسائي. الزكاة (٢/ ٢٢٩) ح(٢٦٠٠) وتقدم تخريجه ص١٧٨٧.

وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**من يَتَقبَّل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة**» قال[1] : قلت : أنا ، قال : « **لا تسأل الناس شيئاً** » ، فكان ثوبان يقع[2] سوطه وهو راكب ، فلا يقول لأحد : ناولنِيه ، حتىٰ ينزل[3] فيتناوله» رواه الإمام أحمد وأهل السنن[4].

وعن[5] ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أصابته فاقة[6] ، فأنزلها بالناس : لم تُسدَّ فاقته ، ومن أنزلها بالله : أوشك الله له بالغنىٰ : إما بموت عاجل ، أو غنىٰ عاجل**» رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن[7] صحيح[8].

وعن سهل بن الحنظلية قال :[9] «قدِم علىٰ رسول الله ﷺ عُيينة بن حِصن[10] ،

---

(١) (قال) سقطت من ط.

(٢) ب (يسقط).

(٣) ط زيادة (هو).

(٤) سبق تخريجه ص١٧٨٧ .

(٥) ط زيادة (عبد الله).

(٦) فاقة : الفقر والحاجة ، مختار الصحاح (٥١٥).

(٧) (حسن) سقطت من الأصل وهي فيما عداه من النسخ وفي الترمذي أيضاً.

(٨) تقدم تخريجه ص١٧٨٧.

(٩) ط (قال : قال).

(١٠) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، أسلم بعد الفتح وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم/ البداية والنهاية (٦/ ٥٦) ، تهذيب الأسماء والألقاب (٢/ ٤٨).

والأقرع بن حابس[١] ، فسألاه ، فأمر لهما بما سألاه ، وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا ، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفَّه في عمامته وانطلق ، وأما عيينة فأخذ كتابه ، فأتىٰ النبي ﷺ بكتابه ، فقال : يا محمد ، أراني حاملاً[٢] إلىٰ قومي كتاباً لا أدري ما فيه ، كصحيفة المتلمِّس[٣] ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «**من سأل وعنده ما يُغنيه : فإنما يستكثر من النار** - وفي لفظ[٤] -: **من جَمْرِ جهنم** » قالوا : يا رسول الله ، وما يُغنيه؟ - وفي[٥] لفظ : ما[٦] الغنىٰ الذي لا تنبغي[٧] معه المسألة؟ - قال : « **قَدْر ما يُغدِّيه و**[٨]**يُعشِّيه**» وفي لفظ «**أن يكون له شبع يوم وليلة**» رواه أبو داود والإمام أحمد[٩].

---

(١) الأقرع بن حابس التميمي ، روىٰ عنه أبو هريرة/ الثقات لابن حبان (٣/ ١٨) ، الإصابة (١/ ٥٨) ، أسد الغابة (١/ ١١٩).

(٢) الأصل (حامل) والصحيح ما أثبته من ح٢ ، ط.

(٣) معجم الشعراء (٧١ ، ٢٠٢) ، الشعر والشعراء (٧٣) ، وانظر قصة المثل في جامع الأصول (١٠/ ١٥٢ ، ١٥٣).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب زيادة (آخر).

(٥) (في) سقطت من د.

(٦) الأصل (ما الغنىٰ) والبقية موافقة لما في أبي داود (وما الغنىٰ).

(٧) الأصل (لا ينبغي) والمثبت من بقية النسخ وأبي داود.

(٨) (وما) وهو خلاف بقية النسخ وأبي داود.

(٩) أبو داود. الزكاة (٢/ ٢٨٠) ح(١٦٢٩) ، أحمد (٤/ ١٨١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٦) وقال : رجاله رجال الصحيح.

وعن ابن الفراسي[١] أن الفِراسي قال لرسول الله ﷺ: أسأل يا رسول الله؟ قال: « **لا وإن كنت سائلاً لا بُدَّ؟ فَسَلِ الصالحين**» رواه النسائي[٢].

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي، قال: تحمَّلت حمالة، فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها[٣] فقال: أَقِم حتىٰ تأتينا الصَّدقة فنأمر[٤] لك بها، قال[٥]: ثم قال: « **يا قبيصة، إن المسألة لا تحِلُّ إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالة، فحلت له المسألة حتىٰ يصيبها ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة حتىٰ يصيب قِواماً من عيش - أو قال: سَداداً من عيش - ورجل أصابته فاقة[٦]، حتىٰ يقول ثلاثة من ذوي الحِجىٰ[٧] من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة فحلَّت له المسألة حتىٰ يصيب قِواماً من عيش - أو قال: سداداً من عيش - فما سِواهنَّ من المسألة يا قبيصة سُحت يأكلها صاحبها سُحْتاً**» رواه مسلم[٨].

---

(١) ابن الفراسي/ الإصابة (٥/ ٢٠٦)، الاستيعاب (٢/ ٥٢٢)، الثقات لابن حبان (٣/ ٣٣٢).

(٢) ورد بألفاظ متقاربة: انظر أحمد (٤/ ٣٣٤)، أبي داود. الزكاة (٢/ ٢٩٦) ح(١٦٤٦)، ضعيف النسائي للألباني. الزكاة (ص٨١) ح(٢٥٨٦)، الطبراني في الكبير (١/ ٣٣٦) ح(١٠٠٤)، ضعيف أبي داود للألباني (رقم ٢٩٢)، شعب الإيمان (٣/ ٢٧٠)، التمهيد (٤/ ١٠٧)، المشكاة (١/ ٥٨٠) ح(١٨٥٣).

(٣) (فيها) سقطت من م، أ، د، ط.

(٤) ط (نأمر).

(٥) (قال) سقطت من ط.

(٦) (فاقة) سقطت من د.

(٧) الحِجىٰ: العقل والفطنة، لسان العرب (١٤/ ١٦٥).

(٨) تقدم تخريجه ص١٧٨٨.

وعن عائِذ بن عمرو[1] رضي الله عنه أن رجلاً أتىٰ النبي ﷺ فسأله ، فأعطاه ، فلما وضَع رِجله علىٰ أُسْكُفَّة[2] الباب ، قال رسول الله ﷺ : « **لو تعلمون**[3] **ما في المسألة ما مشىٰ أحد إلىٰ أحدٍ يسأله شيئاً**» رواه النسائي[4].

وعن مالك بن نضلة[5] قال : قال رسول الله ﷺ : « **الأيدي ثلاثة ، فيَدُ الله : العليا ، ويَدُ المعطي : التي تليها ، ويدُ السائل : السفلىٰ ، فأعط الفضْل ، ولا تعجز عن نفسك**» رواه الإمام أحمد وأبو داود[6].

وعن ثوبان[7] عن النبي[8] ﷺ قال : «**من سأل مسألة وهو عنها غني كانت**

---

(١) عائذ بن عمرو المزني ، من أصحاب الشجرة ومن خيار الصحابة/ التاريخ الكبير (٧/ ٥٨) ، طبقات ابن سعد (١٧/ ٣١) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٧٧).

(٢) **أسكفَّة** : عتبة الباب . المعجم الوسيط (١/ ٤٣٩).

(٣) ط ، الأصل (يعلمون) والمثبت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب والنسائي.

(٤) النسائي. الزكاة (٥/ ٩٥) وحسّنه الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٢٢٤) ح(٢٥٨٥) ، أحمد (٥/ ٦٥) ، الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٣) ، وأورده في كنز العمال برقم (١٦٧٢٢).

(٥) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٦) أبو داود. الزكاة (٢/ ٢٩٨) ح(١٦٤٩) ، أحمد (١/ ٤٤٦) ، الحاكم في المستدرك (١/ ١٠٢) ح(٤٠٨) ، شرح السنة (٦/ ١١٤) ح(١٦١٨) ، الترغيب والترهيب (٢/ ١٠) ، وقال الغالب علىٰ رواته التوثيق ، وقال الحافظ في الفتح إسناده صحيح (٣/ ٢٣٦) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٧).

(٧) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٨) ط (رسول الله).

شيناً في وجهه يوم القيامة» رواه الإمام أحمد[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف[٢] ـ رَضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ، والذي نفس محمد بيده، إن كنتُ لحالفاً عليهن: لا ينقص مال من صدقة، فتصدَّقوا، ولا يعفو عبدٌ عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا رفعه الله بها، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقْرٍ» رواه الإمام أحمد[٣].

وعن أبي سعيد الخدري[٤]، قال: سَرَّحَتني أمي إلىٰ رسول الله ﷺ أسأله، فأتيته فقعدت، قال: فاستقبلني، فقال: «من استغنىٰ أغناه الله، ومن استعف أعفَّه الله، ومن استكفىٰ كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد[٥] ألحف»، فقلت: ناقتي الياقوتة[٦] هي خير من أوقية، ولم أسأله. رواه الإمام أحمد

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨١)، والدارمي في الزكاة (١/ ٣٢٥) ح(١٦٤٧)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٤)، وعزاه لأحمد والطبراني وقال رجال أحمد محتج بهم في الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٣٦) ح(٧٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٦)، رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن كعب بن لؤي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي سنة ٣٢هـ ودُفن في البقيع / سير أعلام النبلاء (١/ ٦٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٤).

(٣) أحمد (٤/ ٢٣١) (١/ ١٩٣)، الترمذي (٤/ ٧٦٢) ح(٢٣٣١) وقال حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٣٤٤) رقم (٨٠٨).

(٤) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٥) أ، ب، غ (فلقد).

(٦) في الأصل وأبي داود وأحمد وفي م، أ، ح٢، ق (الياقية)، ب (الساقية).

وأبوداود[١].

وعن خالد بن عدي الجهني[٢] عن رسول الله ﷺ قال[٣] : «من جاءه من أخيه معروف من[٤] غير إشراف ولا مسألة ، فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رِزق ساقه الله إليه» رواه الإمام أحمد[٥].

فهذا أحد المعنيين في قوله : «إِنَّ[٦] مِن شُرُوطِ الرِّضَىٰ : تَرْكُ الإِلحَاحِ فِي المَسْأَلَةِ» وهو أليق المعنيين وأولاها[٧] ؛ لأنه قرنه بترك الخصومة مع الخلق ، فلا يخاصمهم في حقه ، ولا يطلب منهم حقوقه.

---

(١) أحمد (٣/ ٩) ، أبو داود. الزكاة (٢/ ٢٧٩) ح(١٦٢٨)، النسائي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٥٢)، الدارقطني (٢/ ١١٨) ، وأورده ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٠٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤/ ٢٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٤٢) ح(٦٠٢٧).

(٢) ط زيادة (رضي الله).

(٣) (قال) سقطت من م.

(٤) الأصل (عن) والمثبت من البقية والمسند.

(٥) أحمد (٤/ ٢٢٠) ، صحيح ابن حبان (٨/ ١٩٦) ، الحاكم في المستدرك (٢/ ٧١) وقال صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، الطبراني في الكبير (٤/ ١٩٦) ح(٣٧٩) (٥/ ٢٤٨) ، وأورده الألباني وصححه بالشواهد ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥) رقم (١٠٠٥)، ونحوه في المسند عن أبي هريرة (٢/ ٣٢٣) ، وفي الباب حديث عمر في البخاري. الزكاة (١/ ٤٥٦) ح(١٤٧٣) ، مسلم. الزكاة (٢/ ٧٢٣) ح(١٠٤٥) ، أحمد (٦/ ٢٥٩).

(٦) أ ، ب (إنه).

(٧) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (وأولاهما).

والمعنىٰ الثاني : أنه لا يُلحُّ في الدعاء ، و[1] يبالغ فيه ، فإن ذلك يقدح في رضاه وهذا يصح من[2] وجه دون وجه ، فيصح إذا كان الداعي يلح في الدعاء بأغراضه وحظوظه العاجلة ، وأما إذا ألح علىٰ الله في سؤاله ما[3] فيه رضاه والقرب منه : فإن ذلك لا يقدح في مقام الرضىٰ أصلاً ، وفي الأثر «إنَّ الله يحبُّ الملحين في الدعاء»[4] ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - يوم بدر - للنبي ﷺ : يا رسول الله ، قد ألححت علىٰ ربِّك ، كفاك بعض مناشدتك لربك[5] . فهذا الإلحاح عين العبودية.

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي صالح عن أبي هريرة[6] قال : قال رسول

---

(١) أ ، ب ، غ (ولا).

(٢) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (في) بدل (من).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، ط ، د ، ق (بما).

(٤) الدعاء للطبراني (ص٢٨) عن عائشة ، ومسند الشهاب (٢/ ١٤٦) ، شعب الإيمان (٢/ ٢٨) ح(١١٠٨) ، ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٢١) ، وقال هذه الأحاديث التي رواها يوسف عن الأوزاعي كلها بواطيل ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٥٢) ، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٩٥) ، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٤٣) ، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٨٧) ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٦٣٧) باطل.

(٥) مسلم. الجهاد والسير (٣/ ١٣٨٣) ح(١٧٦٣) بلفظ (كذاك) ، الترمذي. التفسير (٥/ ٢٦٩) ح(٣٠٨١) ، أحمد (١/ ٣٢) بدون (ألححت) ، تفسير القرطبي (٤/ ١٩٣) ، وفي البخاري جزء منه. التفسير (٣/ ٣٠١) ح(٤٨٧٥).

(٦) ط زيادة (رضي الله عنه).

الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» (١).

فإذا كان سؤاله يرضيه لم يكن الإلحاح فيه منافياً لرضاه.

وحقيقة الرضىٰ: موافقته سبحانه في رضاه، بل الذي ينافي الرضىٰ: أنه (٢) يلح عليه، متحكماً عليه متخيراً عليه (٣) ما لم يعلم: هل يرضيه أم لا؟ كمن يلح علىٰ ربه في ولاية شخص، أو إغنائه، أو قضاء حاجته، فهذا ينافي الرضىٰ؛ لأنه ليس علىٰ يقين أن مرضاة الرب في ذلك.

فإن قيل: فقد يكون للعبد حاجة يباح له سؤالها (٤) فيلح علىٰ ربه في طلبها حتىٰ يفتح له من لذيذ مناجاته وسؤاله، والذل بين يديه وتملقه (٥)، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وتفريغ القلب له، وعدم تعلقه في حاجته

---

(١) أخرجه ابن ماجه بلفظ (من لم يدع الله)، وأحمد (٢/ ٢٧٧) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠٠)، والترمذي (٥/ ٤٥٦)، وقال لا نعرفه إلا من هذا الوجه، الأدب المفرد (٦٥٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩١)، والبغوي في شرح السنة (١٣٨٩)، وصححه الألباني في شرح الطحاوية (٥١٩)، وفي السلسلة الصحيحة رقم (٢٦٥٤)، وفي سنده الخوزي وهو ليِّن الحديث كما في تهذيب الكمال (٣٣/ ٤١٨)، وفي شاهده عند الطبراني في الدعاء (٢٤)، حماد والكلبي والمبارك ابن أبي حمزة وهما ضعيفان، كما في ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٠)، وباللفظ الذي ذكره المؤلف أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٢).

(٢) أ، ب، غ (أن).

(٣) الأصل سقطت (متخيراً عليه) والمثبت من بقية النسخ و ط.

(٤) ط (سؤله إياها).

(٥) تملقه: سبق ص١٩٥٨.

بغيره - : ما لم يحصل له بدون الإلحاح ، فهل يُكره له[١] هذا الإلحاح ، وإن كان المطلوب حظاً من حظوظه؟.

قيل هاهنا ثلاثة أمور :

أحدها : أن يفنىٰ بمطلوبه وحاجته عن مراده[٢] ورضاه عنه[٣] ويجعل الرب تعالىٰ وسيلة إلىٰ مطلوبه ، بحيث يكون أهم إليه منه ، فهذا ينافي كما الرضىٰ به وعنه.

الثاني : أن يفتح علىٰ قلبه - حال[٤] السؤال - من معرفته[٥] و محبته ، والذل له ، والخضوع والتملق : ما ينسيه حاجته ، ويكون ما فتح له من ذلك أحب إليه من حاجته ، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال ، وتكون آثر عنده من حاجته ، وفرحه بها[٦] أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته ذلك ، فهذا لا ينافي رضاه.

[٧]قال بعض العارفين : إنه لتكون[٨] لي الحاجة[٩] إلىٰ الله ، فأسأله إياها ،

---

(١) (له) سقطت من ش.

(٢) ش (مراد ربه).

(٣) (عنه) سقطت من ط ، وفي ق (منه).

(٤) ش (باب) بدل (حال).

(٥) أ ، ب ، غ (معرفة الله).

(٦) (بها) سقطت من أ ، ب ، غ.

(٧) أ ، ب ، غ ، ط (وقال).

(٨) ط (ليكون).

(٩) أ ، ب ، غ ، م ، ط (حاجة).

فيفتح عليَّ من مناجاته ومعرفته ، والتذلل له ، والتملق بين يديه : ما أحب معه أن يؤخر[1] قضاءها ، وتدوم لي تلك الحال[2].

وفي أثر : إن العبد ليدعو ربه[3] ، فيقول الله[4] لملائكته : اقْضوا حاجة عبدي وأخروها ، فإني أحب أن أسمع دعاءه ، ويدعوه آخر ، فيقول الله لملائكته : اقضوا حاجته وعجلوها له[5] فإني أكره صوته[6].

وقد روىٰ الترمذي وغيره عن عبدالله بن مسعود[7] قال : قال رسول الله ﷺ : [«إن الله يحبُّ أن يُسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج»][8].

---

(١) ط (عني).

(٢) ح٢ (الحالة).

(٣) أ ، ب ، غ (عزّ وجلّ).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (عزّ وجلّ).

(٥) (له) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

(٦) عن جابر أن النبي ﷺ قال : « إن جبريل .. » ثم ساق الأثر ، مسند الحارث « زوائد الهيثمي » (٢/ ٩٦٦) ، شعب الإيمان (٧/ ٢١١) رقم (١٠٠٣٤ ، ١٠٠٣٥).

(٧) ط (رضي الله عنه).

(٨) الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٦٥) ح(٣٥٧١) ، وعزاه لأبي نعيم من طريق آخر مرسلاً ، وقال أشبه أن يكون أصح ، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٦) ح(٢٥٣٣) ، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٢٤) ح(١٠٠٨٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٣) ، والمزي في تهذيب الكمال (٧/ ٢٩١) ، وابن أبي الدنيا في القناعة ـ الموسوعة ـ (١/ ٤٥) رقم(٩٧) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٤٨) ، ثم قال وهذا الحديث يعرف بحماد بن واقد عن محمد بن ذكوان ولحماد بن واقد أحاديث ليست بالكثيرة ، وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات ،

وروي أيضاً من حديث أبي هريرة[1] قال : قال رسول الله ﷺ][2] : «من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر من الدعاء في الرَّخاء»[3].

وروي أيضاً من حديث أنس[4] ، أن رسول الله ﷺ قال : «ليسألَ أحدكم ربَّه حاجته ، حتىٰ يسأله المِلْح ، وحتىٰ يسأله شِسْع نعله إذا انقطع»[5].

وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٥٨) ، وقال حسَّن إسناده ابن حجر في بعض حواشيه وضعفه العراقي ، وحماد بن واقد ضعيف جداً ، انظر تهذيب الكمال (٧/ ٢٩٨) ، وفي المرسل حكيم بن جبير ضعيف جداً ، انظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٩٩) ، والحديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٤٩٢).

(١) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ.

(٣) الترمذي. الدعاء (٥/ ٤٦٢) ح(٣٣٨٢) ، وقال حسن غريب ، الحاكم في المستدرك (١/ ٧٢٩) (١/ ٥٤٤)، وصحح سنده وافقه الذهبي، والبغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٤١٤) ، وفي الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٩٠) ، وقال : عبيد بن واقد له غير ما ذكرت من الحديث ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية رقم (١٤١٠) وهو في السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ١٤٢) ح(٥٩٣).

(٤) ط زيادة (رضي الله عنه).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٧٧) ، والبزار في كشف الأستار (٣١٣٥) ، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣٤٠٣) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٥٣) ، والطبراني في الدعاء (٢٥) ، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٨٩٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٢٠) ، وابن حجر في فتح الباري (٢/ ٣٠٠) ، والحديث لا يصح إلا مرسلاً كما رجح ذلك الترمذي في الحديث رقم (٣٦٠٤) ، وكذلك رجح إرساله وبطلانه مرفوعاً القواريري ووافقه ابن عدي كما في الكامل (٦/ ٥٣) ، وأعله ابن المديني كما في العلل له (٧٢) ، وقال الهيثمي في مجمع

وفيه أيضاً عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما سُئل الله شيئاً أحبَّ إليه من أن يُسأل العافية**[1]، **وإن الدعاء لينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عبادَ الله بالدُّعاء**»[2].

[3]فإذا كان هذا محبة[4] الرب تعالىٰ للدعاء، فلا ينافي الإلحاح فيه الرضىٰ.

الزوائد (١٠/ ٢٢٨)، رجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة، وحسَّنه ابن حجر كما في زوائد البزار (٢/ ٤٢٧)، وروي موقوفاً علىٰ عائشة بلفظ «سلوا الله كل شيء حتىٰ الشسع..» رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٥/ ٤٥)، وعزاه إليه ابن حجر كما في المطالب العالية (٣/ ٢٣٢)، وقد أجاد الألباني في بحث هذا الحديث وبيان ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٣٦٢).

(١) (العافية) سقطت من أ، ب، غ.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٥٢) ح(٣٥٤٨)، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وهو ضعيف من قِبَل حفظه، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في التلخيص وقال: (يعني عبدالرحمن ابن أبي بكر) ضعيف (١/ ٤٩٨)، والمليكي مجمع علىٰ تضعيفه كما في تهذيب التهذيب (٦/ ١٣٣)، تهذيب الكمال (١٦/ ٥٥٣)، ويغني عنه حديث العباس بن عبدالمطلب: قلت يا رسول الله علِّمني شيئاً أسأله الله فقال لي: يا عباس، يا عم رسول الله: «سل الله العافية..»، أخرجه أحمد (١/ ٢٠٩) وابن أبي شيبة (٦/ ٢٤)، والترمذي برقم (٣٥١٤)، وقال صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٣).

(٣) م، أ، غ، ح٢، ب، د، ط (وإذا)، و ط (وإن).

(٤) ح٢ (يحبه).

الثالث : أن ينقطع طمعه عن[1] الخلق ، ويتعلق بربه في طلب حاجته ، [2] قد أفرده بالطلب ، [3] لا يلوي علىٰ ما وراء ذلك ، فهذا قد تنشأ له المصلحة من نفس الطلب ، وإفراد الرب بالقصد.

والفرق بينه وبين الذي قبله : أن ذلك قد فُتح عليه بما هو أحب إليه من حاجته ، فهو لا يبالي بفواتها بعد ظَفَره بما فتح[4] عليه ، وبالله التوفيق.

فصـــل

الدرجة الثالثة من درجات الرضى

قال : «الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ : الرِّضَىٰ بِرِضَىٰ الله[5] ، فَلَا يَرَىٰ العَبْدُ لِنَفْسِهِ سُخْطاً ، وَلَا رِضَىٰ فَيَبعَثهُ عَلَىٰ تَركِ التَّحَكُّمِ[6] وَحَسم الاختِيَارِ ، وَإِسقَاطِ التَّمييزِ ، وَلَو أُدخِلَ النَّارَ»[7] .

إنما كانت هذه الدرجة أعلىٰ مما قبلها من الدرجات عنده : لأنها درجة صاحب الجمع ، الفاني بربه عن نفسه وعما منها[8] ، قد غيبه شاهد رضىٰ الله

(١) م ، ح٢ ، ط (من).

(٢) ط (وقد).

(٣) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق (ولا).

(٤) أ ، ب ، غ زيادة (الله).

(٥) الأصل (عزّ وجلّ) وليس في بقية النسخ ولا في المنازل أيضاً.

(٦) ش (التحكيم).

(٧) منازل السائرين (٤١).

(٨) قوله : (وعما منها) أي ما يصدر منه من أعمال وطاعات ، إشارة إلىٰ عدم رؤية العمل والإعجاب به.

بالأشياء في وقوعها علىٰ مقتضىٰ مشيئته عن شاهد[١] رضاه هو ، فيشهد الرضىٰ لله ومنه حقيقة ، ويرىٰ نفسه فانياً ، ذاهباً مفقوداً ، فهو يستوحش من نفسه ، ومن صفاتها ، ومن رضاها ، و[٢]سخطها ، فهو عامل علىٰ التغيب عن وجوده وعما منه ، مترام إلىٰ العدم المحض ، قد[٣] تلاشىٰ وجوده ونفسه وصفاتها في وجود مولاه[٤] الحق وصفاته وأفعاله ، كما يتلاشىٰ ضوء السراج الضعيف في جرم الشمس ، فغاب برضىٰ ربه عن رضاه هو [٥]عن ربه في أقضيته وأقداره ، وغاب بصفات وجود ربه عن صفاته ، وبأفعاله عن أفعاله ، فتلاشىٰ وجوده وصفاته وأفعاله في جنب وجود ربه وصفاته ، بحيث صار كالعدم المحض ، وفي هذا المقام لا يرىٰ لنفسه رضىٰ ولا سخطاً ، فيوجب له هذا الفناء : ترك التحكم علىٰ الله بأمر من الأمور ، وترك التخير عليه ، فتذهب مادة التحكم وتفنىٰ ، وتنحسم مادة الاختيار وتتلاشىٰ ، وعند ذلك يسقط تمييز العبد ويتلاشىٰ ، هذا تقرير[٦] كلامه.

وبعد ، فهاهنا أمران :

---

(١) ق (شاهده).

(٢) أ ، ب ، غ زيادة (ومن).

(٣) ق (فلا).

(٤) م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (الملك).

(٥) ط (وعن).

(٦) أ ، غ ، ق ، ط (تقدير).

أحدهما : أن هذا حال يعرض ، لا مقام يطلب ، ويُشَمَّرُ إليه ، فإن هذه الحال متىٰ عرضت له وارَتْ عنه تمييزه ، ولا يمكن أن يدوم له ذلك ؛ بل يقصر زمنه ويطول ، ثم يرجع إلىٰ تمييزه وعقله ، وصاحب هذه الحال مغلوب: إمّا سَكْران بحاله ، وإما فانٍ عن وجوده ، والكمال وراء ذلك ، وهو أن يكون فناؤه[1] عن إرادته بإرادة ربه منه ، فيكون باقياً بوجود آخر غير وجوده[2] الطبيعي ، وهو وجود مطهر[3] كائن بالله ، ولله ، ومع الله ، وصاحبه[4] هذا[5] في مقام : «فَبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش» ، قد فني عن وجوده الطبيعي النفسي ، وبقي بهذا الوجود العلوي القدسي ، فيعود عليه تمييزه ، وفرقانه ، ورضاه عن ربه تعالىٰ ، ومقامات إيمانه ، وهذا أكمل وأعلىٰ من فنائه عنها كالسكران.

فإن قلت : فهل يمكن وصوله إلىٰ هذا المقام من غير درْب الفناء ، وعبوره إليه علىٰ غير جسره؟.

قلت : اخْتُلِفَ في ذلك ، فطائفة ظنت أنه لا يصل إلىٰ البقاء ، وإلىٰ هذا

---

(١) أ ، ب ، غ ، ط (فانياً) بدل (فناؤه).

(٢) ق (معبوده).

(٣) م ، ح٢ ، د (مظهر).

(٤) أ ، غ ، ط (صاحب).

(٥) (هذا) سقطت من م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق.

الوجود المطهر[١] إلا بعد عبوره علىٰ جسر الفناء ، [فعدّوه لازماً من لوازم السير إلىٰ الله.

وقالت طائفة : بل يمكن الوصول إلىٰ الله[٢] علىٰ غير درب الفناء ، والفناء عندهم عارض[٣] ، لا[٤] لازم ، وسببه : قوة الوارد ، وضعف المحل ، واستجلابه بتعاطي أسبابه.

والتحقيق : أنه لا يصل إلىٰ هذا المقام][٥] إلا بعد عبوره علىٰ جسر الفناء ، عن مُراده بمُراد سيِّده ، فما دام لم يحصل له هذا الفناء ؛ فلا سبيل له إلىٰ ذلك البقاء. وأما فناؤه عن وجوده : فليس بشرط[٦] لذلك البقاء ، ولا هو من لوازمه.

وصاحب هذا المقام : هو في رضاه عن ربه بربه لا بنفسه[٧] ، فيرىٰ ذلك كله

---

(١) م ، ح٢ ، د (المظهر).

(٢) د ، ق (البقاء) بدل (لفظ الجلالة).

(٣) د ، ق زيادة (من عوارض الطريق).

(٤) (لا) سقطت من م ، ش.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من أ ، ب ، غ ، ح٢.

(٦) ط (شرطاً).

(٧) في م ، أ ، غ ، ح٢ ، ب ، د ، ق ، ط زيادة (كما هو في توكله وتفويضه ، وتسليمه ، وإخلاصه ، ومحبته ، وغير ذلك من أحواله بربه لا بنفسه).

من عين المنَّة والفضل ، مستعملاً فيه ، قد أقيم فيه[1] ، لا أنه قد قام هو به ، فهو واقف بين مشهد ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ ومشهد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير :٢٨ ، ٢٩] ، والله المستعان.

* * *

(١) (فيه) سقطت من ش.